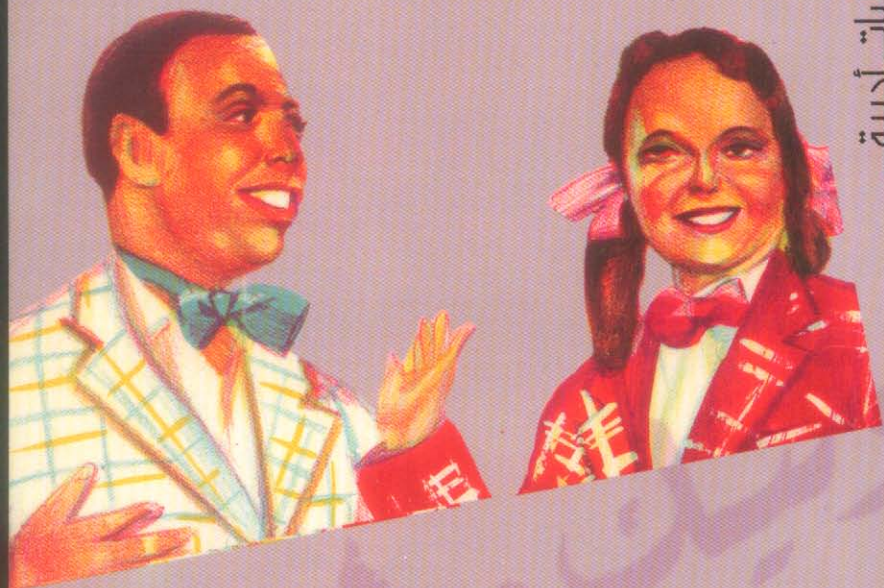


بلال فضل

قصص

بني بجم

تجليات أدبية



Mico Mark

بلال فضل

بني بجم
(قصص قصيرة.. أحياناً)

دار ميريت

القاهرة ٢٠٠٥

"إن الذين يأكلون كبدة النصر
ليس لهم أن يأملوا في النصر"
أكرم القصاص

"من الطبيعي أن أضل الطريق
لأن الصواب كان يحيط بي من كل جانب"
بول نيومان

"سكر.. حلوة الدنيا سكر"
سمير صبري

إلى إيمي..

لا أقول لك إلا ماقاله أسد الصحراء عمر المختار لجزّار

فزان الكولونيل جراتسياتي:

نحن معكم إلى نهايتكم أو نهايتنا"

بلال

جِزْل

" وکل جرح بساعته "

وکل جرح بمیعاد "

لو كنت أعلم أن حديثه سيودي بي إلى هذا البئر السحيق من
الهم لما كنت استمعت إليه بتاتا، لما نظرت نحوه أصلا، لما
عبّرته على الإطلاق .. ولكنك تركته يطفح أكله من سكات،
ليتركني لما أستطيع احتماله من كآبة..

ولكن هل تملك الضحية الاختيار خاصة إذا كانت ضحية
الأقدار؟.

عندما جلست على القهوة لم يكن قد ظهر بعد في الصورة. كان
لابد أن أجلس قليلا لأتحايل على أحزاني بالاستمتاع بهذا الهواء
الخرافي الذي يصبه البحر، وبإدامة النظر في تلك المشاكل
الأنثوية المعقدة التي يطلقونها علينا في الشوارع.

لطالما أحببت هذه القهوة، ذات الموقع الاستراتيجي، مجاورة
لأفخم كافتريات الرمل، لكن الشاي فيها بنص جنيه بس، خلقها الله
للمتكحولين من أمثالي، الكراسي مرصوفة على جانبي رصيف
الشارع الذي ينكب في البحر، تنقله هذه العمارات البديعة المبنية

فى أيام العز والمزاج، الواجهة المزخرفة والبلكونات المنحوتة الأطراف تبدو لسكان الأحياء العشوائية مثلى متحفا يونانيا مصفرا، حتى الملابس المنشورة على حبال بعض البلكونات لا تبدو مزعجة للناظرين، بالعكس تفوح منها روائح الغسيل المغسول بحب، ليس كغسيل أمى المتعجل، سامحها الله، أفست هذا البنطلون الأسود الحيلة، ترفض كسلا غسله لوحده فتملاه بالويّر، حتى أنني لم أعد أصف مستقبلى بأنه أسود كالح مثل لون هذا البنطلون الذى صار "أسود فاتح"!. أرهقتى رطربة الأفكار، فأسندت قدمى إلى عجلة هذه المرسيدس التى ساقها الله إلى لتركن بجوارى، لماذا لم أحلم يوما بامتلاك سيارة فخمة مثل هذه، مع أنى أحلم بما هو أصعب منالا منها، والنبي تنلهى أيها الدماغ الخرب، وخليك فى الخيبة التى أنت فيها.

آه. كثير هذا على القلب، فقر وفلس- حاكم هناك فقر لا فلس فيه- وأم تقهرنى بطيبيتها التى تنقلب غياب فى أحيان كثيرة ومحبوبة تعد بالإتصال والوصل فلا تصل ولا تتصل وعائلة محطمة بفعل تصاريّف الزمن، ثم هذا الهيجان الذى لا يبدو أن هناك سبيلا لصرفه، من يحمل عنى كل هذا أوحى شينا منه ..

حضوره اقتحم همى.. لفت انتباهى إلى صديقيه العجوزين الذين كانا جالسين إلى جوارى منذ زمن دون أن يجتذبا اهتمامى.. كانا ينتظرانه.. تبادلنا معه سلام العواجيز.. سلام مليئى بالمودة دون صخب أو مبالغة.. نادياه بـ "الواد جلال" رغم اشتعال رأسه شييا.. أحدهما أصلع ضعيف السمع طلعتة بديعة لم يلخبطها قلق الليلى.. والثانى ذو صلعة لامعة زانت وجهه وزادته مهابة ووقارا ومنحته درجة وكيل وزارة سيادية.. كان الأخير يتحدث بصوت عال ليسمع رفيقهما الثالث الذى كان يستعيد بعض الكلمات مكتفيا بتعليق ثابت على كل ما يسمع "ناس وسخة وأيام وسخة".. تلاحقت العبارات الساخرة من الأصلع:-

- مكتوبه لك يا عم.. كسبت اليا نصيب، ٢٨٠٠ جنيه مرة واحدة ومن أول مرة.. مش كفاية شهادات الاستثمار اللى كسبتها قبل كده.. حظ معرصين.

اكتفى "الواد جلال" بابتسامة طناش.. فتح لفة جرايد غارقة بالزيت فهفت رائحة سمك مقلى.. عاد الأصلع للسخرية:-

- أيوه يا عم.. زفر لنا القعدة.. جتك القرف.. إحنا هنقوم نصلى العصر.. وبعدين نرجع لك عشان نشوف اللى ورانا.
سأله ضعيف السمع:-

- ركبت قطر كام يا جلال؟

أجاب وهو مستلذ بتقسيم أرغفة العيش إلى انصاص وأرباع استعدادا لبدء الأكل:-

- ركبت من طنطا قطر واحدة إلا تلت.. حلو قوى ..

باستناه من ١٢ ونص، بس إيه رأيك ميعاد حلو

- كده.. والله !

- أول منازل من القطر رحلت مع واحد زميلى فى قاسم

أمين الثانوية إسمه حامد الششتاوى.. طلعا على بتاع السمك اللى

فى محطة مصر.. قلت له إيه رأيك فى افتتاحية المنهج دى.. قال

لى يا خبيرك إسود سمك دلوقتى.. وقام سايينى.. رحلت جايب

الربع ده باتنين جنيه ونص.. وجبت ثلاث ارغفة ومخلل.. أصل

بصراحة نفسى رايحة للسمك.. وبعدين الكيلو بعشرة.. قمت جيت

ربع وجبت ورقة يا نصيب.

قال له عالى الصوت وهو يراقب بدء دخوله فى الأكل ويتجاهل

ذكر ورقة اليانصيب:-

- ده احنا جينا بثلاثة جنيهه فلافل سخنة وكلناها سوا.

لم ينتظر الانتهاء من المضع.. مشيحا بيده:-

- يا أخى بلا فلافل بلا هم.. أنا النهارده مُسْمِكِ..

سأله ضعيف السمع فجأة سؤالاً مصيرياً:-

- وهتغسل إيدك فىن يا ابنى؟

أجابه دون اكترات : فى حمام الجامع طبعاً.

نهض عالى الصوت الذى لم أعرف إسمه واستدار ليجذب صديقه

من يده ثم قال عالى الصوت بصوت عال:-

- طيب إحنا هنروح نصلى ونيجى لك بس إوعى تمشى.

- لأ.. أمشى إزاي؟

- أصل إحنا قاعدين هنا من ١٢ ونص.. وإنت لسه يا

دوبك بتتعدى

بدت لى جملة بايخة زاد بواختها تعليق فجائى من الأصلع:

- ده أنا شربت عصير مرتين (!)

هز المسمك رأسه غير مكترث وهو يلتهم السمك والبتجان

المخلل فى نشوة حقيقية.. انصرفا مستندين على بعضهما

منحدرين مع الشارع باتجاه البحر ثم انحرفا يمينا باتجاه جامع

القائد إبراهيم وهو يتبعهما بنظرات مبتسمة..

أمعنت النظر فيه سريعا قبل أن يستدير رأسه مجددا باتجاهى فلا

أتمكن من تأمله براحتى..

كان شعره كثيفا شديد البياض.. ذقنه مهملة ونصف شعيراتها أبيض.. يلبس نضارة عتيقة تخالها ملصقة ببلاستر.. " وتى شيرت " رخيص أزرق يكشف عن لحم صدره الأملس ورقبته المكرمشة دونما تجاعيد.. وبنطاله الأزرق يبدو مكوبا بما لا يتناسب مع النصف الأعلى ولا الجزء الأسفل الذى تحتله جزمة مرهقة تشكو من طول الخدمة وظلم الشوارع.
أدار وجهه راميا عينيه فى عيني.. ارتبكت وأشحت بوجهى عنه.. ناداني بمودة:

- اتفضل يا أفندى

أربكنى لطف النداء مع أنى ألفت لقب الأفندى اسكندرانى النكهة كلما عدت إلى الاسكندرية.. فلامحى التى أظنها محترمة تتسق معها أكثر ألقاب (باشمهندس- باشا- ريس - شقيق) التى أسمعها فى القاهرة دوما.

- ربنا يخليك يا بيه.. ألف هنا وشفا

قسم جزلة سمك إلى قسمين ووضعها على قطعة عيش ومدها إلى قائلا:-

- مش بنعزم عزومة مراكية والله.

- صادق والله يا باشا

نظر إلى متفحصاً:

- الأخ من مصر

قلت له مسرعاً:- لا.. اسكندرانى.. بس قاعد فى مصر دون أن أساله انطلق متحدثاً على سجيته وهو يأكل.. كأنه كان يبحث عن متحدث يشاركه ونس الأكل:-

- مالكش حق حد يسيب اسكندرية برضه .. صدقني ربنا هيحاسبك .. لا وتسببها وتروح فين .. مصر .. كان الله في عونك .. أنا من طنطا.. بس ما احبش أكل السمك الجزل إلا فى المطعم بتاع محطة مصر.. أقول لك حاجة وما تصدقنيش.. أنا عامل اشترك فى خط القطر بتاع القاهرة اسكندرية.. عارف ليه.. عشان الأكل .. لما يهفنى الشوق أنزل اسكندرية لصحابى دول اللى انت شفتهم.. وأكل السمك الجزل والمكرونه فى محطة مصر؟

قاطعته مستوضحاً:

- أكيد بتاكل مكرونه عند (الصاروخ)

هز رأسه مسفها ملاحظتى: لا.. دوكهه بتاع مكرونه.. أنا قصدى السمك المكرونه.. الفراخ البلدى بقى عمرى ما أكلها غير فى مطعم فى مصر " عارف فين " فى التوفيقية.. أما الجمبرى

فتستغرب لما أقول لك إنى ما اكلوش غير فى بنها.. عند واحد بتاع سمك جنب المحطة.. لا وإيه وعنده كمان سمك المكرونة المستورد من البحر الأحمر.. بس برخيص.. فى طنطا بقى ما اكلش غير فى المسمط عشان أرخص.. إنما باقى الأكل هناك مش ولا بد.

اندمجت فى حديثه مكتفيا بدور المستمع..

اقتربت نحونا قطعة صغيرة مبهدلة الشكل.. أخذت تدور حول الترابيزة متشممة للمكان.. رمى لها قطعة صغيرة من عظم السمك.. تشممتها بكبرياء ثم ابتعدت لتقف أمام السيارة الراكنة جوارنا وبدأت فى فرد عضلاتها.

ابتسم مشيرا إلى مطعم السيد البدوي المجاور لنا قائلا:-

بالك القطعة دى قنوعة عشان تلاقىها واكله جمبرى فى المطعم ده.. الحمد لله.. لو ما كانتش جنب مطعم كانت نطت لى هنا.. بنت الحرام مش عاجبها الشوك.. مع أن الشوك.. بتاع النوعية دى عامل زى قراقيش اللحمه.. مرة جبت منه لواحد صاحبى أكل الشوك بالسمك.

استدار ناظرا إلى المطعم المجاور لنا ثم ضحك ضحكة عميقة:-

- عارف أكلة السمك دى تطلع لها بكام فى المطعم ده.. ببيجي حاجه واربعين جنيه أدبنى كلتها باتنين جنيه ونص.. وفى نفس المكان.. بالعكس ده أنا قاعد فى الطراوة.. على فكرة القهوه دى كويسة قوى.. مش الشاى لسه فيها بنص جنيه؟.

هزرت رأسى مجيبا على سؤاله بنعم.. فنادى على الجرسون بصوت عال.. "كوباية ميه يا ريس"

نظر إليه الجرسون ثم اتجه نحو الرصيف المقابل ليلى طلبات زبائن آخرين.. ابتسم جلال وقال لى بمرح:-

- الجرسون ابن الذين.. خايف يجيب لى مية أحسن الكوباية تتزفر.. بس كتر خيره.. على الأقل ماجاش يتخانق عشان قلبتها لهم مطعم.. بس لعلمك أنا باحافظ على المكان اللى باقعد فيه.. أى أكل يفضل باحطه فى قلب الزبالة

قلت له : لا.. دول ناس ولاد حلال .. هيجيب لك مية أكيد.. تلاقىه نسى.

رد على مبتسما: لا هو مش عايز.. ما هو شافنى وقال حاضر وراح داخل .. ماعادش فى حد ابن حلال غيري

ثم مستدركا: وغير حضرتك فيما يبدو كده

أطل الجرسون من باب القهوة متجها نحو الرصيف الذي نجلس عليه حاملا كوبين من الماء.. شكره جلال كثيرا.. فطلبت لنفسى كوب عناب.. نظرت الى كوبي الماء مبتسما .. هز كتفه مداريا حرجه ومغيرا الموضوع:

على فكرة صحابي اللى كانوا قاعدين هنا دول طلوعوا على المعاش.. كنا بندرس سوا فى طنطا.. كنت أصغر منهم بكثير بس اتصاحبنا.. أنا فضلت فى الشغل وهم طلوعوا معاش.. لسه فاضل لى ١٢ سنة على المعاش..

صمت قليلا.. وملأ فمه بلقمة كبيرة.. كان أكله غريبا.. يجمع بين النهم والرزانة .

قال مبتسما:

كويس إن ربنا هادى لى القبط هنا.. إنت عارف أنا قبل ما اركب القطر رحى فى طنطا لواحد بتاع فراخ كنت عايز أجيب ربع فرخة قال لى ما فيش إلا نص قلت له إن شا الله عنك ما بعث مع إن فى مصر أعرف واحد بتاع التوفيقية اللى قلت لك عليه بينزل لى ربع الفرخة وطبق رز وطبق خضار ونص ليمونة.. كل ده باربعة جنيه.. مش الحرامية بتوع طنطا.. بس الحمد لله السمك أبرك.

الأكل تبدو البركة مطروحة فيه بالفعل.. لا يبدو أنه يأكل ربع كيلو فقط مع أن الحجم يجعلك تصدق أنه ربع كيلو فعلا..

يبدو أن احتفاله بالأكل وانشغاله بالحكى كأنى صديق قديم له جعله شديد النهم فى أكله..هناه الله..

عاد ثانية للحكى المبتسم:

بس عارف عايزينى أمشى وياهم زى ماهم عايزين.. ولو طاوعتهم هيخلونى أسباب الشغل وأجرى وراهم. عارف إحنا تعرفنا على بعض فى القطر برضه.. كانوا عايشين فى طنطا برضه.. بس لوحدهم كانوا بيدرسوا ويرجعوا كل خميس على اسكندرية. أصلهم كانوا متجوزين..

سألته السؤال الأول منذ بدأ حديثه:- أنت متجوز؟

رد بعنف استغربته :- لأ.. لأ.. لأ

السؤال فرض نفسه:- ليه؟

صمت قليلا وبلغ السؤال بشرية ماء واستأنف الحديث دون أن يعطينى فرصة لمزيد من المقاطعة:-

- أصل ما كانش عندى شقة لغاية من كام يوم عدوا .. لسه وأخذ مفتاحها الأسبوع ده.. بعد ٢٠ سنة خدمة خدت شقة فى طنطا بـ ٨ آلاف جنيه مقدم وإيجار ٩٠ جنيه.. قعدت سنين أدور على

شقة رخيصة فى القاهرة واسكندرية وطنطا.. اللى خلانى آخذ الشقة دى إن بينها وبين القطر ٧ دقائق بس.. عشان أسافر براحتي كان عندى ورث فى بيت فى القاهرة بعته ب ٥ آلاف وقلت أعيش فى طنطا.. كسبت اليانصيب قمت شارى الشقة وكتبت عقدها.. شقة حلوة فى بيت اصحابه عشريين.. مارضيتش اسكن فوق السطوح.. أصل أنا عشري وأحب الناس.

قطع حديثنا قفزة مفاجئة للقطعة فى محاولة لل صعود على مقدمة السيارة.. لم نفهم سر قفزتها إلا عندما طار من الشجرة الصغيرة المجاورة لنا عصفور صغير عاودت القفز مجددا إثر طيرانه.. قال معلقا:-

- شايف القطعة ياعم مش عاجبها الشوك وعايزة تصطاد عصفور.. عندها طموح.. الفاجرة.

كان قد انتهى من أكله دون أن يترك باسم الله ما شاء الله سوى قليل من الشوك وبعضا من فئات العيش..

بنظام طوى ورق الجرائد على بواقى أكله ووضعها فى كيس بلاستيك التقطه من الأرض وأغلقه بإحكام ومسح يده فى منديل محلوى نضيف أخرجه من جيب بنطلونه.. باس يده وجها لظهر

وأكمل شرب الكوب الثانى من الماء وزعق طالبا كوب شاي.. لم بيد عليه أنه مدخن..

زحف بكرسيه قليلا نحوى وواصل حديثه دون أن يبدو أنه كان قد توقف:-

- إبت عارف.. أنا لازم اتجوز.. واجرب النظام ده.. هاصبغ شعرى.. ولو مالفيتش عروسة.. هاخلى إصحاب البيت يجوزونى.. صمت قليلا ليعبث بأظافره فى أسنانه ثم استأنف:-

- على فكرة الواحد ما بيصليش بانتظام إلا لما يبقى متجوز.. وبعدين هو أنا لو كنت متجوز كنت أجرى وراء الأكل كده. تملك الحزن من حديثه فاتصل همه بهمى وبدا كأنه عشرة عمر

قديم يشاركنى خيبتى ويحكى بلسانه وجعى:-

- إذا لقيت واحدة كويسة هاخذها تعيش معايا فى الشقة ومش هااكل غير من إيديها.. ما فيش آدينى عايش فى الشقة لحد ما اموت.. ما أنا قلت لاصحابى أنا خلاص خدت الشقة اللى هاموت فيها.

تسهد بعق ثم قال جملة واحدة صمت بعدها مليا.. لينشغل بتقليب كوب الشاي الذى حضر للتو :-

- أصلى هاعمل إيه يعنى.

رشف رشفة من كوب الشاي ثم قال لى مشيراً إلى شعره دون أن يلمسه:-

- عارف أنا شعري شايب من وأنا عندي ٣٠ سنة.. وبعدين من ٥ سنين لما ابتديت أرتاح نفسياً ابتدا يسمر شويه.. ساعات أقول يارب سود لى شعري.. أصل ما عنديش طولة البال عشان أصبغه.. إنت عارف فى ناس يقولوا لى إنت أصغر من سنك وناس يقولوا لى العكس.. لعلمك أنا متهاياً لى شعري شاب من كتر الناس اللى شفتهم بيموتوا على السكة الحديد.. هو أنا قلت لك إني ساكن قريب من شريط القطر .. لسه وأنا جاى شفت واحد اتقتل.. كان بيجرى ورا واحد تانى بمطواة عشان يغزه .. اتكعبل على شريط القطر والقطر خده.. اتفرم وقعد اللى كان بيجرى منه يلم فى اللى فاضل منه وهو بيعيط ويصرخ.

فرضت الصورة القاسية مزيداً من الكآبة والحزن على المكان.. لو كنت أعلم أن حديثه سيفضى بى إلى هذا البئر السحيق من الهم لما استمعت إليه.. لكن ظرف حديثه خدعنى فى البداية..

لم يشأ أن يرحمنى إلا للحظات رشف فيها رشفة من كوبه وعاد لتعذيبى:- إيه رأيك أجرب الجواز؟
لم ينتظر إجابتى وواصل حديثه :-

- إنت عارف صاحبى اللى كان قاعد هنا.. اللى كان بيزعق ده.. اتجوز مرتين بس بيقول لى من يوم ما عرفته إوعى تتجوز هيتخرب بيتك.. المهم إنه بيقول إنه اتجوز مرة تالته. مع إن عمرى ما اتصلت بيه ورد على صوت حريم.. واضح إنه مستفرد بنفسه وسايب عيلته.. إنما الأفرع اللى كان قاعد هنا ده متجوز مرة واحدة ومراته قريت تموت.. عندها الخبيث بعيد عنك..

قبل أن يرشف الرشفة الأخيرة من كوبه سرحت عيناه طويلاً باتجاه البحر وهو ممسك بالكوب قريباً من يده..

لمعت عيناه وهو يلتفت نحوى وقال كمن توصل إلى قرار حاسم:-

- بس أنا رأيتى الواحد يجرب كل حاجة.. حتى فى الآخر يجرب الانتحار بقى عشان الحكاية تخلص.

انقبض قلبى أو لعله تحطم أولعلى بكيت أو أوشكت أن أبكى.. بينما رشف هو آخر ما بكوبه من شاي .. وأنزله بقوة على الترابيزة.. ثم إنه لم ينطق بحرف ولم يلتفت نحوى.. كأنه لم يرانى أصلاً.. وكأنه لم يكن قد أمضى الدقائق الماضية التى لا أعلم عددها يحدثنى ضاحكاً وشاكياً.. وكأنى كنت جزءاً من

طقوس طعامه وشربه الشاى فلما انتهى انتهيت، وانتهت حاجته إلى..

أمعنت النظر إليه لعله يلتفت فلم يفعل.. هممت بأن أحدثه فاخنتق صوتى بحشرجة مرة.. أخذ يفرك يديه محدقا فى المجهول..

لم تجذب انتباهه نحناتى المتتالية ولا مدى يدي نحو كوب الماء المستقر إلى جوار كوبه الممتلئ ببقايا الشاى.

من مطلع الشارع المنحدر أطل صاحباه مستندين إلى بعضهما..

تبادلا معه الابتسامات والتعليقات التى لم أسمع أغلبها.. واصل

تجاهله لى.. مع أنى تمنيت أن يستدير إلى ليسألنى عن إسمى أو

يعرفنى بصاحبيه أو يقول لى أى شئى عله يكفر عن ما ارتكبه

بحقى من تعذيب.

قال عالى الصوت:- إنت ليه ما بتصليش ياأخى.

رد بهدوء:- أغسل إيدى وأصلى.

قال الأصلع ضعيف السمع:- أنا عايز أركب الترام أبو دورين

- هو آخر خطه فين

- قوم بينا وأنا أقول لك

- والقهوة؟

- دى بتاعتنا وناسها أصحابنا.. هنرجع لهم

قام إليهما حاملا كيس بواقى الأكل.. أشار عالى الصوت إلى

الجرسون زاعقا " راجعين تانى يا إبنى " ودون أن يلقي حتى

السلام علىّ أو حتى يلقي على نظرة أي نظرة. ذهب الواد جلال

المسمك شريكى فى الحياة طيلة الدقائق الماضية.

انحدر الثلاثة سويا مع الشارع منعطفين باتجاه مسجد القائد

ابراهيم وانحدر حزن كبير لعله مليئ بالدماء على خدى.

الإسكندرية ١٩٩٩

عندما انفضح الشيخ عرفة
فضيحة القطط على المنبر!!

"وكم ذا بمصر ...

ولكنه"

فى حياتى كلها لم يصدق على أحد عرفته أنه فضح فضيحة القطط مثلما صدق ذلك على خطيب جامعنا المسكين - المسكين هنا عائدة على الجامع لا على الخطيب - .

والحق أن الخطيب المذكور كان يستحق فضيحة أكثر دناءة وقبحا.. فضيحة الصراصير مثلا لو كانوا قد ضبطوا لها فضيحة.. أو قل مثلا فضيحة ذبابتين قتلها طفل وهما تمارسان الجنس الفموي..

الشيخ عرفة.. هذا إسمه الذى (اتزلط) إلى الدنيا به مع أنه لا علاقة له لا بالمعرفة ولا بالعرفان..

فى أوقات الصلاة الخمس وقبل إقامة الصلاة تجد الشيخ عرفة خارجا من غرفة الإمام التى يجاور بابها المحراب.. ناظراً إلى المصلين شزرا بعينه الوحيدة الصالحة للاستعمال - لم تذهب الثانية من كثرة البكاء من خشية الله بل ذهبت فى مشاجرة أثناء إحدى موائد الرحمن - يعطى الجميع ظهره ثم يستدير فجأة بعنف

ليصبح (كله يحفظ متاعه أمامه.. لا نريد قليلا وقالوا في مسجدنا.. جزاكم الله خيرا.. أولاد الحرام كثير).. هكذا كل يوم ٥ مرات حتى عندما يصلى الفجر فى الشتاء مع أربعة من العجائز الذين يقوى الواحد منهم بالكاد على حمل نفسه ناهيك عن حمل أى متاع.. وحتى وبعد أن تجرأ أحد زوار مسجدنا العابرين وسأل الشيخ عرفة عن حكمة الصباح بصوت عال قبل الصلاة ومدى جدواه فى منع سرقة المتاع من المسجد.. أرغى الشيخ عرفة وأزبد.. لكنه فى اليوم التالى أدرك أن صياحه اليومى غير كاف.. وانتدب طالبا من مدمنى الصلاة أيام الامتحانات ليكتب له ٤ لافتات بخط بارز وصارخ كتب فيها عبارة (حافظ على متاعك) وعلقها فى مداخل الجامع الأربعة.. أثارت اللافتات ردود فعل عديدة كان أجراها مهمة سرت فى الصفوف الخلفية بمنأى عن جعير الشيخ عرفة الذى يعنى إلى الله دائما قلة أدب الأجيال الجديدة الملعبوب فى أساسها طبقا لتعبيره.. سرت المهمة من شاب زائر للجامع لأغراض عاطفية – هى باختصار مصادقة الحاج حسن أبو محبوبته الذى يصلى الفرض بفرضه حاضرا – ثم أصبحت المهمة إفيها يردده بعض الشباب البذئ داخل المسجد.. كانت المهمة قد استبدلت حرف الميم فى عبارة الشيخ

عرفة بحرف الباء .. والحمد لله أنه لم تصل الجراءة إلى استبدال الحرف فى اللافتات كبقية من احترام لبيت الله وإن صار من المألوف أن تسمع بين الحين والآخر ضحكة رقيقة المغزى تصدر بالضرورة عن مصل يصلى لأمر كان يطلبه وصله الإفيه للتو. شينا فشيئا أصبحت اللافتات جزءا من المظهر الثابت لجامعنا المنكوب.. وكنت من القلائل الذين أدمنوا انتقادها حتى آخر يوم تركت فيه الصلاة بالجامع والانتقال لجامع آخر يبعد كثيرا عن مسكنى..

ولم يحدث ذلك إلا بعد خناقة ضارية مع الشيخ عرفة. كنت قد دخلت إلى الجامع متأخرا لأداء فرض العصر.. التحقت بجماعة ثانية بدأت بخمسة أفراد وانتهت بحوالى ٢٠ مصليا.. كان الشيخ عرفة قد استقرد باثنين من أرباب المعاشات لبيخ فى أذانهم من غزير علمه الذى يكفيك لإدراك مدى غزارته أن تعلم أنه خصص خطبة جمعة كاملة للثواب الذى يمنحه الله لمن يحسن معاملة الإماء والجوارى والعبيد وفضل إعتاقهم لوجه الله – لاحظ أن هذا حدث فى عام ١٩٩٤.. تسعمائة..هـ- . ولو كان حديث الشيخ عرفة هذه المرة بصوته (الجاعورى) ونحن نصلى عن السرقة والجوارى لهان الأمر لكنه اختار لأجل حفظنا التعس أن

انتفض الشيخ عرفة كمن عضته سلعوة.. كان واضحا أنه يسمع لأول مرة عن الحديث الشريف الذي قلته.. غاظه تجمهر الناس مؤيدين لما قلت فاندفع صائحا في لهجة اختفت فيها كل النبرات التي تمت للدين بصلة مؤكدا سجله المهني ومتحدثا بطريقة اللباطجية. (كاره القديم على ما يبدو طبقا لتهامس البعض الذين حلفوا على المصحف أن عرفة لم يحصل على ترخيص من وزارة الأوقاف للخطابة متمنين على الله أن يجد أحد المصلين وقتا للذهاب الى الوزارة للإبلاغ عنه).

قال عرفة والشرر يطق من عينيه:-

الله الله يا بتاع إنت.. ما تيجي تقعد مكاني أحسن.. وتفتي في الجامع بتاعي.. لا يا خويا أنا أقول اللي يعجبني ما دام شرعي ولا مؤاخذه.

قالها عرفة قبل أن يندفع ممسكا بزمارة رقبتني لأمسكه بدوري من قفاه.. كان يمكن أن تنتهي مناقشة حكاية (شرعي ولا مؤاخذه) هذه في قسم الجيزة.. لكن صديقا قديما أنقذ الموقف بسحبي خارج الجامع وتكرم بأن أسدى الي نصيحة بأن أترك الصلاة في الجامع لكي لا يضعني الشيخ عرفة في دماغه مثلما فعل أكثر من مرة مع مصلين آخرين كان يحرص على مضابقتهم بوسائل شتى أهونها

يتحدث عن آداب جماع الرجل لامرأته وحكم الوطاء في الدبر.. كان ضده بالمناسبة.. فنحن نذكر الحوار كاملا لأننا لم ننفقه من صلاتنا شيئا.. كلنا بلا استثناء كما عرفت فيما بعد.. خذ عندك أبسط دليل أن إمامنا سلم بعد ٣ ركعات ثم قام للرابعة بعد أن نبهناه ثم نسي سجود السهو قبل أن ننبهه ليسجد السهو ثم ينسى أن يسلم.

بعد سلام سجود السهو اندفعت واقفا والدم يغلى في عروقي وصحت:-

- حرام عليك يا شيخ عرفة.

وبسحنة تبلدت ملامحها رد على:-

- خيرا يا أخويا.

- ما يصحش كده يا شيخ عرفة..حبك الكلام عن الجماع دلوقتي

.. ما قدرناش نركز في الصلاة.

- وذنبى إيه إن إيمانك ضعيف.

- ما فيش داعى للغلط يا شيخ عرفة.. ده إنت المفروض تبقى

قدوة.. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لا يشغلن قارئكم

مصليكم).. ده قارئكم للقرآن.. ما بالك بواحد بيكلم الناس عن

اللى لا مؤاخذه مش عارف إيه بيعمل إيه في مراته..

التبسيط عليهم في خطبه ومواعظه.. طمأنت صديقي أنني إذا كنت
لسن أصلي في هذا المسجد ثانية فلأنتني لأقبل الصلاة خلف إمام
جاهل كالمسمى زورا بعرفة ..

انقطعت عن الصلاة في المسجد ذاهبا الى مسجد آخر أبعد قليلا..
وبعدها عرفت أن الشيخ عرفة ألقى بعد صلاة المغرب في ذات
يوم خناقنا خطبة عصماء لعن فيها خريجي الجامعات الذين حلت
عليهم لعنة الله فطمس على قلوبهم غواشة - أقسموا لي أنه قالها
هكذا - .

ومرت الأيام التي مايعلم بيها إلا ربنا .. واستمر جامعا كما هو
تحت سطوة الشيخ عرفة.. كل يوم وأنا ذاهب إلى عملي أجده
جالسا في مقعده الأثير تحت شجيرة أمام الجامع مرتديا بدلته
الصيفية الكالحة التي يبدلها عند الأذان بزى أزهرى يقولون أنه
اشتراه من ورثة خطيب الجامع السابق الذي مات منذ عامين..
وآخرون يقولون أنه سرقه.. دائما في نفس الوضع.. عقب
سيجارة مدفون في فمه يشده بحرقه وهو يحدق في المجهول ويهز
رأسه في إيقاع منتظم.. خلفته الكئيبة تبدد كل أمل في (انصلاح)
الحال. لكن عدالة السماء لا بد أن تنزل لزما وحتما على استاد
باليرمو .. كان ذلك عندما جاء اليوم الذي توافق فيه يوم عيد

الفطر مع يوم الجمعة، والذي أصبح يوما مشهودا في شارعنا حتى
الآن. كان يمكن لهذا اليوم أن يمر في هدوء لولا طفاسة الشيخ
عرفة ونتاجته.

كان عربي ومحمود وعبد الله أصحاب ورش النجارة المجاورة
للجامع والمطلّة على شارعنا قد عزموا أمرهم على أكلة فسيخ
متينة وكاملة من مجاميعها مثل البصل والملانة والليمون والذي
منه.. ولأن الشيخ عرفة يعرف جيدا تحريم الاسلام من وجهة
نظره لعدم قبول دعوة المسلم حتى لو كانت على شقة طعمية
محروقة.. فقد كان أول الملبين والمشاركين كعادته دائما.. ورغم
أن البعض حاولوا /ليس لدينا منهم بقدر ما كان حرصا على
طعامهم/ أن يلفتوا انتباهه إلى التقليل من الطعام أو حتى على
الأقل التخفيف من التهام رؤوس البصل الأخضر أبو شوشة لكي
يستطيع أداء الخطبة دون أن يكبس عليه الوخم .. لكن الشيخ
عرفة رد وبقايا الفسيخ تتناثر على ذقنه المشعثة بأنه يستعين
بالطعام على طاعة الله سبحانه وتعالى.

كبس الوخم بالفعل على الشيخ عرفة بعد الاكل ليوظوه متعجلين
قبل نصف ساعة من الخطبة.. (طس) وجهه بقليل من الماء
وتوضأ مسرعا ثم صعد إلى المنبر لتبدأ وقائع أسود يوم في عمره

بالتعثر فى الدرجة الثانية من المنبر.. بعد أن (لموا) الشيخ عرفة من الأرض حاول التماسك بصيحة طويلة (وحدوا من لا يسهو ولا ينام). وبدأت الخطبة وباليتها ما بدأت.

لم يكن الشيخ عرفة قد أعد شيئاً ليقوله فى الناس.. لكنه اجتهد على قدر طبقات صوته فى الصياح وبدأ الخطبة بالعبارة التي يردها كل عيد صغيراً كان أم كبيراً .. عيد كحك كان أو عيد لحمة .. (ليس العيد لمن لبس الجديد ولكن لمن خاف يوم الوعيد) .. فجأة فوجئ به المسجد يصرخ بصوت عال كأنه يطرد النوم عن عينيه مكرراً (ليس العيد لمن لبس الوعيد... ولكن لمن خاف يوم الجديد) .. وعندما ساد الهرج بين المصلين الذين حاولوا كتم ضحكاتهم على إثر غلطة الشيخ عرفة.. عندها صمت الشيخ عرفة وبعدها افتضح فضيحة القطط.

حتى الآن عندما يروى أهل جامعا ما حدث يختلفون حول عدد الأصوات التي أسكتت المصلين ثم هزت الجامع بالضحك ثم كتبت نهاية الشيخ عرفة. البعض يقسم أنها جاءت متتابعة ومتساوية فى مددها الزمنية.. بينما يقسم آخرون أن واحدة جاءت فى المنتصف متميزة عن أقرانها زمناً وأثراً. لكن الجميع أجمعوا على أنه ليس من سمع كمن شم.. وأن تهوية الجامع استغرقت

يوماً كاملاً.. بينما استغرق الناس بضعة أسابيع حتى اختفت بينهم ظاهرة كريمة الضحك الفجائية أثناء الخطب..

اختفى الشيخ عرفة ذاهباً الى حيث ألفت ولم يعرف أحد إلى أين ذهب ولا الى أين ألفت.

أصبحت الصلاة بالتناوب بين عجائز المسجد أنصار مدرسة قصار السور.. وتولى عم صبحى مهمة الخطبة التي كان يقرأها كل جمعة من كتاب الخطب المنبرية الذى جاء به من السعودية فى رحلة حج .

بقيت لافتة (حافظ على متاعك).. وبقي جامعا.

الجيزة — شارع المحطة

١٩٩٥

صخرة الكومبو

" لكل شيء إذا ماتم نقصان

فلايغر بطيب العيش ... حيوان "

لم أدر بنفسى إلا وأنا داخل المطعم الفخم ذى السمعة الأفخم..
ربما أغرتنى الانتعاشة الطبقية المفاجئة على ارتكاب هذه
الحماسة، لم أكن أعرف شيئا عن أسماء الأكلات ولأسعارها، لكن
استعمال حداقة الفقراء الذين يسمونهم بـ(أولاد البلد) حرصا على
عدم جرح مشاعرهم جعل الأمور تمر بسلا.. دفعت ٣٠ جنيها
مرة واحدة ثمنا لـ٤ سندوتشات تقارب فى حجمها الكحك الذى
تصنعه جدتى..

كل هذا لأن الرجل سألني بعد أن طلبت سندوتشات الهامبورجر
الأربعة "حضرتك عايزهم كومبو" ولأنني لم يحصل لي شرف
التعارف على كلمة كومبو خلال سنوات الدراسة العامرة أجبت
خائفا من أن أصرح بجهلي : "آه طبعا".

قلت لنفسى "تجربة إنسانية تقوت ولا حد يموت"، استدرت هاربا
من نظرات عامل المطعم الذى يكبت ابتسامة ساخرة تريد أن
تقول لى لولا خوف من المسائلة "إنت إيه اللى جابك هنا.. مالها

عربيات الكبد والسجق اللى بأكل أنا وانت فيها آخر النهار" .. قبل أن أغادر المحل نادانى قائلا "مش تاخذ الحاجة الساعة بتاعتك يا بيه" فجأة وجدتنى على الكورنيش أمام المحل أحمل كيسا ورقيا به سندوتشات تقارب فى حجمها الكحك الذى تصنعه جدتى و٤ أكواب ورقية من الحاجة الساعة، كيف سأشرب كل هذه الأكواب، كان منظرى وأنا أسير نحو صخرتى المفضلة فى شط ستانلى حاملا مآحمله مثل عامل توصيل طلبات لا يرتدى (اليونيفورم).

وصلت إلى الصخرة المنعزلة التى أجلس عليها دائما متأملا فى الهيولي لعلي أفهم الحياة أكثر، أبهجتنى رؤية فتاة جميلة تجلس قريبا منى على حاجز خرسانى خلف الصخرة، أثرت الجلوس بعيدا من الصخرة حتى تتصرف الفتاة، أخذت الفتاة تنظر إلى باسمة، عذرتها فهى تظننى رجلا مجنونا وشرها، وإلا ما تفسير كل هذه الأكواب التى أضعها بالقرب منى، غالبت خجلى الغريزى تجاه الجمال، رفعت كوبا وهزته باتجاهها، وقلت لها "تفضلى" .. الغريب أنها تفضلت وأنا.. أنا الذكر كنت خجلانا عندما تفضلت، اقتربت منى بجسمها الألد كثيرا من السندوتشات التى تقارب فى حجمها الكحك الذى تصنعه جدتى، دون خجل أخذت كوبين وقالت لى "شكرا يا ذوق" استدارت حاملة الكوبين ترجرجهما تنثياتها

التي لا تحتمل، أخذت كوبا فى يدها وأسندت الآخر فى مكان ما خلف الحاجز مرت النصف ساعة التالية وأنا أفكر متعجبا هل ستقدر لوحدها على شرب كل هذه الكمية من الحاجة الساعة، ثم مرت النصف ساعة التى تليها وأنا أفكر فى طريقة للتمحك فيها ولو حتى من باب رد الجميل.

مرت ٥ دقائق، هممت بعدها بالنهوض متجها إليها ..

لكنها هى التى نهضت فجأة، واستدارت بجسدها لتنتقل إلى الطرف الآخر من الحاجز الخرسانى، وقبل أن تقفز وبينما كنت أنا مشغولا بإيجاد توصيف لونى لفخذيها الذين انحسرت "الجبية" عنهما، استدارت ببديها وكأنها تلتقط شيئا من خلف الحاجز، ظننتها ستعيد لى الكوب الذى لم تشربه، أخذت أفكر فى ما سأقوله لها، وكيف سأأخذ من الحاجة الساعة مدخلا لتفاصيل غير "ساعة".

دخلت المشهد فجأة يد أمتدت من خلف الحاجز، لحقت بها بعد قليل يد أخرى، أصبحت أو بلفظ أدق أمسيت اليدان فجأة جسد شاب وسيم ضاحك، يشد الفتاة إليه وهى تحاول جذبته ليصعد فوق الحاجز ، ارتمت بمزاجها عليه وكأنها فشلت فى جذبته لتسقط فى أحضانها خلف الحاجز، بينما ارتفعت رجلاها عاليا فى الهواء، لأنسى كل ما كنت أفكر فى قوله لها، وليصبح نصيبى من المشهد رؤية كل التفاصيل التى تتعب كثيرا كشاب هائج لتراها، وفى

الغالب لا تراها جيدا لأنها تكون مرتبطة بهبة من تيار هواء عنيف، أو قشرة موز ملقاة فوق رصيف، أو عربة ميكروباص عالية على فتاة ذات جيبة قصيرة تحاول الصعود ..

أخذت راحتها في أحضانه وأخذت عيني راحتها في أحضان فذبيها، أصبحت أو بلفظ أدق أمسّت الساقان المصبيتان فجأة واقفتين أمامي منفرجتين بينما لازلت أراهما بعين خيالي ملتصقتين ببعضهما، دخل في الكادر ليشوش جماله وجه الشاب صاحب النصيب في شرب كوب الحاجة الساقعة ، مد يده الكريهة لى مصافحا وقال بحرارة "متشكرين قوى على الحاجة الساقعة عقبال ماتشربها فى فرحك" ضحكت الفتاة بدلع وجذبتة من ذراعه دون أن تكلف خاطرها وتعبرنى بكلمة، ولو حتى من أجل خاطر الحاجة الساقعة، فى اللحظة التى فكرت أن ألتفت فيها لمراقبتها وهما يبتعدان، سمعت صوت دحرجة كوبين من الورق المقوى على الصخرة، كان واضحا أن الهواء سيحملهما ليعانقا موج البحر قبل أن يغيبا فى أعماقه. وكانت الصخرة المنعزلة لا تزال فى موضعها تتحدى الموج والريح، وكنت أنا عاجزا عن إكمال الكوب الرابع من الحاجة الساقعة، ومنتظرا لفتاة جديدة أهديه لها لتقاسمه هذه المرة مع شاب مُبخت يقتحم حياتى من خلف الحاجز الذى أجلس وراءه محدقا فى الهبولي لعلي أفهم الحياة أكثر.

الإسكندرية

١٩٩٨

[46]

"إذا كانت الخطابات العاطفية لا تجدى مع ساكنات الخليفة ودوران شبرا وغبريال.. فلماذا لا نكتبها إذن لساكنات ماهاتن ودوران ييفرلى هيلز.. مادامت الحكاية تحصيل حاصل".

خطاب "open" إلى مدام جوليا روبرتس

"حتى ياقلبي الحزن ماعادش فيك

معلشي معلشي لك يوم برضه راح تملأ"

[47]

عزيزتى.. جوليا روبرتس..

كنت أتمنى أن تكون لدى الجراءة لأقدم نفسى إليك فى خطابى هذا بوصفى واحدا من أثرى أثرياء منطقة الشرق الأوسط الذين يتابعون بمزيد من الإعجاب مسيرتك الفنية المبهرة.. وأدعوك أنت و"يورفريند" الذى يقولون أن إسمه الآن بنجامين برات - لقضاء أسبوع كامل فى منتجعات مصر السياحية وركوب الجمل فى الهرم (أو الجمال فى الأهرامات من باب التعظيم) والتخطيط لانتاج فيلم مشترك مع شركة رينيسانس للسينما التى أملك أغلب أسهمها والتى تديرها زوجتى النجمة المصرية الشابة جيهان فاضل التى تملك قبسا من نورك..

لكن الحقيقة أن ضغطة واحدة منك على زرار فى المدعوق الانترنت، بالغبائى، وكأنك ستكلفين نفسك عناء ذلك، سيقوم به بالطبع واحد من معجبيك العتيديين فى السى آى إيه التى يقولون أنها تمتلك ملفات بها حتى مقاسات ملابسنا الداخلية -المخروقة

الشاشة.. يخافون علينا من الفتنة ودخول مواقع السيكس - يابختكم فى أمريكا طبعاً.. بتتطوا على بعض براحتكم. آسف على هذا الاستطراد العفوى. فكما تعلمين.. الهيجان وحش..

المهم. أكتب لك على أمل ضعيف أن يصلك الخطاب. عندما يقوم أحد أصدقائى من الصحفيين الفنيين - غالبيتهم لدينا ليس لديهم ذمة كمالديكم فى هوليدود - ما علينا وعدنى صديقى الصحفى الشريف - لكى لا يزعل لو قرأ الخطاب كما أتوقع - بأن يعطيه لصديقه الممثل الشاب خالد النبوى الذى صرح مرارا وتكرارا أنه تلقى عروضاً كثيرة للعمل فى هوليدود وأنه سيسافر إليها قريباً، ولأدرى هل ينزع علينا فى مصر ليعلى سعره أم أن ذلك حقيقى، عموماً هو فنان كويس وأتمنى أن لا يزعل لو قرأ هذا الكلام عندما يفتح الخطاب كما أتوقع، وأتمنى إذا حصل النصيب وقابلك لتسلم هذا الخطاب أن تأخذى بالك منه، فهو غلبان وغريب وستكسبين فيه ثواباً حتى لو أزعجك بطلبه أن يمثل معك فى أى فيلم من أفلامك.

منذ قليل انتهيت من مشاهدة آخر أفلامك التى نزلت عندنا فيديو.. يسمونه فى السوق عندنا "العروس الهاربة" وهو قريب من إسمكم الأصلي.. إحمدى ربنا أنهم لم يسموه "شراسة القط الأسود

غالباً - وبالطبع ستعلمين إن عاجلاً أو آجلاً أننى جلست لأكتب إليك هذا الخطاب فى شقة حقيرة من شقق شارع الفاتح بالجيزة على ترابيزة الأكل التى لازال يرقد عليها سندوتش بطاطس بوريه نجا من عشائى المتأخر، يتمشى أمامى برص وصرصار، تعرفين الأخير أما الأول فلا أظنك قد سمعتى عنه، لا أحسب أن الله رزقكم أبراصاً فى أمريكا..

بيليف مى.. لأعرف لماذا أكتب إليك خاصة أننى لا أعرف عنوانك ولا يحزنونى.. ولأثق فى العناوين التى ينشرونها فى مجلة الشباب لك وللأخوة زملائك - أحس أن محرراً ما "يضربها" على القهوة - بالتأكد لك "إى ميل" أو "إى ميلى" كما يسميه صديقى عديم الكمبيوتر.. لكننى لأعرف.. وحتى لو عرفته فلن أجزؤ على الذهاب إلى الواد محمد عبدالكريم.. الوحيد ذو الكمبيوتر بين من أعرفهم.. لأستسمحه فى إرسال "إى ميل" لأنه محدث نعمة ولولا دخوله النيابة الإدارية بالصدفة حيث يحصلون على الكمبيوتر ببلاش تقريباً، لاستمر فى قضاء أوقات فراغه معنا على قهوة الأهلئى والزمالك بشارع المحطة.. بالمقابل أجد صعوبة فى الذهاب إلى "إنترنت كافيه" لأرسل إليك هذا الخطاب.. فالموظفون غالباً ما يحملون فى ما نكتبه ونشاهده على

الجزء الخامس" فالناس عندنا تحب أفلام الرعب والضرب ومحمد هنيدي..

الغريب أننى قرأت موضوعا عنك فى مجلة(نيوزويك) التى أصبحت تباع لدينا بالعربى لزيادة التقارب بين شعبينا الصديقين، يقول كاتبه أن الفيلم كان طويلا ومملا وثقيل الظل، والحقيقة أننى تمنيت أن أتف على وجه هذا الكاتب انتقاما لك ولفيلمك الساحر الذى عذبنى وأبكاني برغم محاولتى التماسك حرصا على صورتى فى القهوة التى كنت أشاهد فيلمك فيها(نسميها مجمع صالات هيلتون الناصرية لأن بداخلها ٤ أجهزة فيديو يعرض كل منها فيلما مختلفا). للأسف لا يجب نزلاء القهوة أفلامك كثيرا لأسباب متعلقة بموقفهم من الرومانتيكية.. إيتزنوت بيرسونال.. هم يفضلون زميلك فان دام وزميلك جاكى شان وزميلتك سنيتياروزروك وزميلتك المصرية جالا فهمى- التى مصرت مرة فيلمك "بريتى وومن" فجعلته يليق بنا فعلا- المهم أن ذلك اضطرنى لتأجير الفيلم من نادى الفيديو ودفع ٥ جنيه للمعلم ليمسح لى برؤية الفيلم داخل القهوة.. كان الجمع حاشدا فى البدء لكنك خيبتى آمال هذه المرة بملابسك المحتشمة.. ولم تلاقى حماسا إلا عندما بدأ مشهد عرس هاواى الذى ارتديتى فيه البكىنى. فأسعدتى

أمسية عشرات الشقيانين من زبائن القهوة الذين بالتأكيد يخلمون بك الآن مثلى. مع اختلاف الطقوس.. هم يمارسون أحلامهم بما هو أكثر جدية من الكتابة وهو ما لم أجرؤ على فعله معك فلست عندى كزميلتك مدام ديمى مور أو مدام شارون ستون أو مدام بامبلا أندرسون.. بمناسبة بامبلا ذات الصدر المتضخم. أعجبنى أنك لم تلجأى لتضخيم صدرك فى الفيلم كما فعلتى فى فيلمك إيرين بروكوفيتش. (الذى استلقت ١٥ جنيه من الواد الجزمة أكرم لكى أحضره فى سينما جنيهه أم ١٥ جنيهه التذكرة.. ما يغلاش عليك)..

على أى حال لاتزعلي من الصحفى بتاع النيوزويك.. لعلك تعلمين إلى أى حد هى قذرة الصحافة وحقيرة ومليئة بالأدعياء.. بالمناسبة أنا صحفى شاب.. وأعجبنى أدائك لدور الصحفية فى فيلم (أحب المشاكل) مع الرائع نيك نولتى (بالمناسبة سرقوه عندنا فى مصر ومثله واحد اسمه محمد هنيدي وواحدة اسمها حنان ترك) والنبي سلمى على نيك نولتى وقولى له أن نطق اسمه محرج لدينا .. هل يمكن أن يجعله نيكولاس نولتى.. على الأقل لكى يرحم والده نولتى من سخرية السفلة لدينا.. على فكرة الصحافة لدينا ليست كما صورتها فى أفلامك.. ليس لدينا

نيكولاس نولتى ولا دنزل واشنطن (الصحفي الشريف بتاع فيلم قضية البجع).. لدينا كائنات جاهلة مدعية تننفس الكذب هل تصدقين أننى تركت العمل فى الصحيفة الخامسة على التوالى لأننى ضسببت رئيس تحريرى الكاتب التقدمي فى وضع مخل ومختل مع صحفية شابة كان يقول لنا أنه يدرىها على التحرير الصحفي فإذا به يدرىها على تحرير النصف الأسفل من جسمها.. يقولون أننى أأرق.. بالتأكد وإلا ما كنت أكتب إليك الآن.. أحلم أن أكشف فسادا مثل الذى كسفتيه أنت ودنزل واشنطن الصحفي الشريف.. خاصة ولدينا فائض للتصدير من قضايا الفساد لو نشرت لديكم لانقطع رزق مايكل كريتون وجون جريشام وستيفن كنج وديفيد ماميت وغيرهم من كتابكم الناجحين الذين سيكتشفون أنهم مصابون بأنيميا حادة فى الخيال.

دعينا من قرف السياسة.. خلىنا فى لفتاتك الساحرة.. من أين تأتئين بكل هذا الجمال الذى يخبل.. عندما أخذت تتمايلين فى فستان فرحك الغالى وأنت تسيرين فى ممر الكنيسة على أنغام موسيقى الزفاف الرائعة.. فى آخر الممر ينتظر ك أبونا وريتشارد جير- وهل يليق بك غيره.. ولو أنى سمعت أنه شاذ ووضع مرة فأرا

كاملا صاحيا فى مؤخرته.. فى بلادنا يقولون الفأر يلعب فى عى.. بالطبع هناك اختلاف حضارات-

بليز لاتغضبى من استطراداتي فنحن نعشق الرغي واللك ونموت فى الونس فاستحمليني الله يبارك لك .. المهم أعود اليك وأنت تسيرين فى ممر الكنيسة على أنغام موسيقى الزفاف الرائعة .. كاد قلبى يتوقف عندما توقفت فجأة وسكنت وجهك تقطبية مهيبه كأنك تستعدين للهرب من عريسك المحتمل الرابع.. بكيت على صدر المعلم جعلب تضامنا مع ريتشارد عندما هربت منه بالفعل وهو يجرى خلفك متصدع القلب ومكروش النفس حتى يتوقف عن الجرى خلفك ويعود إلى بيته مكتئبا ذلك الاكتئاب الأمريكانى الجميل- بيهره وموسيقى حزينه وأجازة فى الريف - عندنا نبكى بالقرب من كوبرى عباس ونفكر فى رمى أنفسنا فى النيل ثم نذهب إلى البارات القليلة الباقية لنشرب ال ٨٤-إيتى فور- وروم راس العبد أو شئى من البانجو - مخدر زى الماريجوانا بس على أوسخ- لا تصدقيني لم أشرب شيئا من ذلك فأنا أكثر خيبة من أن أسكر أو أنسطل.. لأن أمى لسعتنى وأنا صغير عندما دخنت سيجارة فأصابتنى بعقدة من كل ما يغضب الله.. أكتفى بتقليب المواجه مع أصدقائى وأكل الكشرى ثم البكاء الذى يصحبه نشيح

الخائفات على الشرف والراغبات فى الستر والبلاد التى لا أفهم حتى الآن كيف نحبها كل هذا الحب أو ربما نتصور أننا نحبها كل هذا الحب.

على الحائط تستقر صورة جميلة لك بقصة شعر قصيرة مرعبة الفتنه- لم أرها أبدا فى أفلامك أو ربما رأيتها لكن شعرك الطويل محفور فى وجدانى أكثر- ترتدين سلسلة ماسية تستقر على صدرك الممتد العارى حتى بشائر النهدين.. توجج حمرة حاملتا الفستان السوداوتان بينما يشرق الكون بنور ابتسامتك التى تشعلها غمازات خديك- أتصورك بغمازات حتى لو لم يكن ذلك كذلك- قريبا من التقاء إبطك بذراعك كتبت ويا لحقارتى "إمتى هاعيش يادنيتى سنى" .. جملة قالها شاعر غلبان اسمه ابراهيم عبدالفتاح بالتأكيد يحبك وسيفرح أننى كتبت ذلك على أى حته فى جسمك أقصد فى صورة جسمك.. ألصقت صورتك على ورقة دشت صفراء- دشت.. هذا إسم الورق الأصفر الرخيص الذى أكتب عليه الآن- وعلى فراغ الورقة كتبت بخط منمق قصيدة أزعم أنها كتبت فيكى حتى لو كان شاعرها أحمد فؤاد نجم- شاعر عظيم وفقير من شعرائنا من المؤكد أنه كتب هذه القصيدة فى واحدة جربانة فى حوش قدم- تقول القصيدة .. " وجوز عيون لأ جوز

حاد وبرابير. ذكرنى ريتشارد جير وهو يقف متصدعا خلف سيارة النقل التى هربتى فيها بنفسى عندما وقفت مثل وقفته تلك متصدعا خلف أتوبيس -٨٠٤- (التحرير - القلعة) الذى ركبته حبيبتى بعد أن زفت إلى خير خطوبتها.. بعدها كنت أنا الذى أهرب عندما تأتى سيرة الزواج مع البنات اللواتى عرفتهن.. ربما لأننى اكتشفت أن أبى عندما يخرج إلى المعاش سيأخذ مكافأة قدرها ٦ آلاف جنيه.. أنكسف أن أقول لك أن ٧ نفوس بشرية تعيش على أمل هذه الستة آلاف التسعة.

أنا حزين يا جوليا.. لأننى ضائع مثلك.. أو هكذا أتخيلك.. وأنت تبحثين عن الحب فى أحضان كيفرساذريلاند وجاكسون باتريك وليل لافيت وبنجامين برات.. رأيت.. كيف أحفظ أسماء عشاقك الذين ولا تغضبى منى لسن يكون بنجامين آخرهم لأنك لست مقسومة أبدا لرجل واحد.. العدل أن تتقلبنى بين أحضان رجال الأرض جميعا لينال كل منهم حظه من السعادة الحقيقية.. أما أنا فالعدل أن أنقلب بين أحضان المقاهى المسكونة بالكراهية والشوارع المزروعة حفرا ومطبات وذكريات مشى مع المحبوبة والأصدقاء المهزومين المديونين الممسوخى الأرواح والصحف المصادرة والمراقبة والمرخية والبنات اللعوبات فى التليفون فقط

يجمعنى بها مشهد نهاية كالذى جمعك بـ (هيوجرانت) فى فيلم
(سحر الحب) والكاميرا تدور فوقكما راقصة متهجة بك وأنت
ترقدين على حجره ببطنك المنتفخة الملىء بالحياة وهو يقرأ فى
كتاب من إصدارات مكتبة الأسرة وأنتما تتشمسان على كرسى
حديقة تشبه الحديقة الدولية..

أعلم أنى أطلت عليك.. سأتركك الآن منتظرا رذك وأن يجمعنا الله
عزوجل بك فى جنته بديلا عن الحور العين أو كواحدة منهن لكى
لا يزعن. أعلم أننى سأثقل عليكى بطلبى الأخير هذا ولكن هل
يمكن أن أجد لديك إى ميل ميج رايان.
ثانك يو.. آى لاف يو.

يور سينسيرلى (.....)

قاهرة اسمه إيه المعز لدين الله

١٩٩٩

عصافير برموش ترفرف عقلى يطير.. ومعششين على بحر
كبير.. يغرق على شطه الحريف.. وأنزل على الجيد الجبار..
المفتري فرع الصبار.. وأقول له إيه آخر الأخبار.. يا مرمرى
فى جناين الريف.. جنينا من سحر البستان.. بعد العطش فكر
وحرمان.. ورجعنا نرسم بالألوان على كل شجره وليف ووليف"
لو لم تفهمى معناها اطلبى من خالد النبوى أن يشرحها لك.. ولو
فشل فصدقينى وعهد الله أنها أنت التي كان يكتب عنها عم أحمد..
جلال جمالك بالطبع لا تحيطه قصيدة ولكن المحاولة مطلوبة.

لعلمك.. لدينا فى مصر فتيات أجمل منك.. لكنهن يسكن فى أحياء
نمر عليها بالأتوبيس أو التاكسى أو عربات الأصدقاء فى أحسن
الأحوال.. ويلعبن فى نوادى لا ندخلها إلا بتصريح لإجراء مقابلة
صحفية مع عضو مجلس قيادة ثورة سابق انتهت به قيادة الثورة
إلى الشمس فى الظل.. جنبا الى جنب مع أعضاء مجالس قوادة
الثروة..

لعلمك بقى.. حبيبتي كانت جميلة مثلك.. ولو تمكيجت وخلعت
الحجاب لربما كانت أجمل منك.. لكن متاعب الكلى بهدلتها ولو
رأيتها الآن لما عرفتها (بناء على وصفى لها).. تطلقت يا عيني
وتشحورت أحوالها ولكننى وللعجب لا زلت أحبها وأحلم بأن

خطاب مسجل وبعدم الوصول إلى السيدة المصونة واللؤلؤة بنت المكنونة
(.....) محبوبتنا السابقة.. وألف شكر لرجال البريد

بنى بجم

".. مسيرى فى يوم ألاقه

وتبلل دموعى إيديه"

فى هذه اللحظة التى أبكى فيها بدل الدموع دما.. أين أنت.. أين أراضيك؟ هل تجلسين الآن فى غرفة المعيشة "تضعين يدك خلف ظهرك وتشكين من آلام بطنك المتكورة، وتقولين لزوجك- الذى يلعب دورى لظروف إنتاجية لا علاقة لى بها- "شايف ابنك الشقى بيعمل إيه؟".

أم أنك تعانين الآن من مشاكل المرأة العاملة.. تسرعين فى الصباح إلى عملك لاعنة زحمة المواصلات وقرف الوظيفة.. تركيبين عربتك النصف عمر دون شعبطة فى الأتوبيس كنتى ستتاينها معى مثلما كنت تقولين ساخرة حين كنا نحب بعضنا بقوة؟. (بالمناسبة أنا لم أعد أركب أتوبيسات أبدا الآن، أعيش منذ ٥ سنوات فترة انتعاش طبقى لا أدرى هل تستمر؟، لكنى وبالمناسبة أيضا، لم أعد "أحوش" لأبنى عشنا الصغير، فـ "العشش" لم تعد تصلح إلا لشرب البانجو فى زمن الأبراج).

أم أنك عدت توا من مكتب البوسطة بعد أن أرسلت الجواب العاشر خلال شهر لزوجك- المقيم فى الامارات ربما- تذكيرنه بأن يعود لك فى الأجازة القادمة بالمروحة الليزر والكاسيت أو سى دى والفيديو "ملطى سيستم" (بالمناسبة أنا رفضت أن أسافر إلى الإمارات لأن الوطن لا زال يروق لى ورغم ذلك اشتريت

فيديو بالقسط غير المريح وأصبح عندي اشتراك مدى الحياة في جميع أندية الفيديو المجاورة)..

... أم ... هل خاناتك التوفيق في تجربتك الأولى.. هل تجلسين الآن في غرفتك الضيقة في بيت أهلك " مفكوكة الكتاب مخسوفة الجواب " .. تخرجين من كرتونة تحت الدولاب رسائل القديمة وقصائدي التي كنت أتصورها شعرا ذا مستوى.. وتقولين لنفسك بأسى " خلاص راح ولن يعود مهما استرحمت دقائق قلبي.. فأنا الذي بدأ الملامة والصدودا .. ولن يعودا..".

وحياتك سأعود زاحفا وباكيا ومقبلا الأرض لو أردت.. فأنا من بنى بجم الذين لا يعتبرون ولا يتعظون ولا يكادون يفقهون حديثا. لست أدري أين أنت الآن بالذات في هذه اللحظة التي أبكى فيها بدل الدموع دما؟ لكنني أدري ومتأكد تماما أنك لا تبكين أبدا. لو كنت تعرفين البكاء لكنك إلى جوارى الآن..

شارع ضريح سعد زغلول

١٩٩٦

" صورة طبق الأصل من أوراق ملف قضية حقيقية حدثت بمخافيرها في صيف عام ٢٠١٠ عندما قررت الحكومة أن تعيد تربية المواطن عامر بتاع السنترال لا لشيء سوى أنه قام بالالتزام بتعليمات الهيئة وتكسير كلام أيمن بك "

خلاف حميم في وجهات النظر بين الحكومة و عامر بتاع السنترال!

" آدى الحقيقة وآدى اللي طالبيها

والحق تاه في الباطل البطل

وقلوبنا تاهت عن محبينها

وآدى نجومنا بعيدة ما تنطال "

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ العظيم/ بكرى بكرى المصرى المحامى

تحية طيبة لسيادتكم وبعد:-

كنت فى وريدتى يوم الأحد الموافق ٢٠١٠/٤/٧ حيث أعمل موظفا فى سنترال محطة الرمل، كانت الساعة العاشرة والنصف ليلا وكان يوجد زحام شديد بالسنترال حيث موسم الصيف، وكانت الكبائن كلها مشغولة، ودخل على شاب طويل قاسى الملامح معه فتاه شقراء ويحمل طبنجه فى خصره بشكل ملحوظ، وقال لى:-
إنت يا ابنى عايزين نكلم مصر، قلت له " حاضر" وأخذت الرقم بلوحة التجارب الخاصة بالمكالمات، وطلبت منه الجلوس فرفض، وأثناء النقاش رفع هذا الرجل صوته، وخرج فرد من احدى الكبائن لكى تتفض المشكلة ويدخل سيادته، لكن طلب منى هذا الرجل فتح خط لتجربة الرقم بمعرفته، فأفهمته أن هذا ممنوع طبقا لقانون الهيئة، فطلب أن يتكلم مع الرقم المطلوب من السويتش، طلبت منه دخول الكابينة فرفض فألحيت عليه فطلب من الفتاة

جوه المحضر، كل اللي لاحظته هو كلمة (اعتراض أنثى)
وكلمة (ضبطه) عليها دائرة زرقاء، وبمجرد ما وقّعت وقعت
فى الفخ، طلب الضابط مخبر وقال له أعمل زى ما قلت لك،
وبمجرد نزولى إلى أسفل وجدت مساعد أول فى أنتظارى أخذ
يدى بعنف وأدخلنى أوده الفيش ولقيت ٣ فيش أصلى فى أنتظارى
جاهزين من كل البيانات، خد المساعد يدى مع العسكرى
وأبصمونى بالقوة، ثم قادونى إلى حجرة الأمور ووضعوا الحديد
فى يدى وهوبّه سحبونى على وكيل النيابة وعندما دخلت على
سيادته نظر إلى متفحصا وقال لى إسمك إيه فقلت له البيانات
وقبل أن أكمل قال لى أنا عارف إن انت هتجيني من امبارح، مش
إنت عامر السيد بتاع السنترال، فقلت له: نعم، فقال لى: إيه يا
ابنى انت فاتح السنترال ملاكى، حكيت له ما حدث، وكان سيادته
ذوق جدا فقال لى: بص يا عامر لو كنت جاي فى خناقه كان
أهون، المحضر معمول لك ده محضر ثقيل لكن يعنى على العموم
أن هاسيبك عشان انت باين عليك غلبان وياريت ماشوفش وشك
هنا تانى، وأشار بالانصراف، بعدها أخذنى الحرس تانى إلى
القسم بعد أن فرجوا على أمة لا إله إلا الله وأصبحت كالأراجوز
الذى ينظر إليه الكل وبعد ذهابى إلى القسم أدخلونى الزنزانة،
وبعد فترة طلبنى الملازم ولقيت فيشا آخر وشد سيادته اصبعى

الموجودة معه دخول الكابينة ووقف أمامى وأنا أجرب الرقم
وطلبت الرقم ووجده مشغولا فأخذ الفتاة وخرج وقال لى:- لازم
وحياة أمى أربيك، ووقف أمام السنترال بالخارج وسب وشتم
بالعن الألفاظ، وتتاسيت أنا المشكلة بعد أن مشى، ومرت الوردية
بسلام.

فى الساعة ٧،٣٠ صباحا جاء إلى أمين شرطة إسمه على عزت
ومعه جندى بصفة ودية، فقلت له أعملك شاي فقال لأ أنا هشرب
السيجارة دى وهمشى، وعندما سلمت الوردية الساعة ٨ صباحا
يوم ٢٠١٠/٤/٨ خرجت من السنترال وبمجرد خروجى من باب
السنترال ألقى هذا الأمين القبض على ومعه رجال المباحث
وأخذونى أخذ عزيز مقتدر، وحملونى إلى وحدة المباحث، وهناك
وجدت الملازم أول حمدان ماهر حيث كان فى أنتظارى محضر
جاهز ينقصه الامضاء فقط فهددنى حضرة الضابط بأن عدم
إمضائى سوف يكون معناه قضية إضافية، واستدعى شاب موجود
رفض أن يوقع مثلى على محضر آخر، فضربوه أمامى حتى سال
الدم من فمه وأنفه واضطر أن يوقع، فلما رأيت ذلك زاد
إصرارى على الرفض، فأخرج لى كيس بانجو ومطواتين قرن
غزال، فلما رفضت ثانية وزاد إصرارى كاد أن يعمل بها حرز
لولا خوفى من الموقف فاضطرت إلى الإمضاء دون علمى باللى

غلطت فيه، يمكن مع ضغطة الشغل والحر والرطوبة عاملته عادى. بریق ناشف جايز زى ما باعمل مع كل الناس، المهم حطوا فى إيدي الحديد تانى لغاية ما عدت الساعة ٩,٣٠ بالليل، عندما أحدثت ضجة أرسلونى فى جولة على كام قسم كده وبعدين رجعونى إلى المديرية لعلى بك عبد الكريم فى مباحث الأداب، ضرب الجرس وطلب فرد يرتدى ملابس مدنية وأخذنى مع العسكرى إلى تزييف العملة والأموال العامة تانى ثم أخذونى إلى حجرة حيث وجدت دوسيه أصغر مكتوب عليه كل بياناتى من الأم والأب وحتى الإخوة ما عدا أسماءهم فاضية وطلبوا منى أملاً أسماء عيلتى، اعترضت فهددونى بأنى هالبس قضية، ومن خوفى أعطيته أسماء وبيانات وهمية وبعدها سلمونى إلى عسكرى تانى حيث عمل لى كارت أصفر عريض فى قسم المعلومات الجنائية حيث وجدت الجميع ينتظرنى وبعدها أدخلونى على السيد المقدم محمود خفاجى، وعندما رآنى احمر وجهه وتحركت ودانه وقال لى أهلا يا عامر يا حبيبى تعالى، وكانت قد دخلت إليه فى ورديته فى الفترة الصباحية وحكىته له ما حدث، وفوجئت أن موقفه تغير ولم يعد متعاطفا معى كما كان، وعرفت أنه تلقى اتصالات من كذا باشا يطالبون بربايتى خاصة أيمن بيه الذى كان فى السنترال، والذى عرفت من العساكر أنه تم نقله إلى مباحث التموين حيث

الايهام ووضعه على الفيش وأخذونى ثانية، ثم بعد برهة أرسلونى إلى مديرية الأمن مع جواب توصية ومجموعة أوراق تودى فى داهية، أدخلونى أولا للكشف على فى قسم تزييف العملة ثم الأموال العامة ثم إلى مباحث الأداب، كنت ما أزال متأثرا من الشتيمة التى وجهها لى ضابط فى الأموال العامة، ابتسم على بك عبد الكريم رئيس مباحث الأداب لما قلت له يا سيدى أنا لم أفعل شيئا وشتمونى، قال لى: مش انت عامر بتاع السنترال، حكيت له كل اللى حصل، قال لى: سييك من المحضر ده ورمى المحضر، وقال لى: ده بنات اسكندريه اللى بتيجى السنترال كلها بتشكى منك وينطلب منهم يعملوا لك محاضر ما بيرضوش.. إيه رأيك، فجأة طلبه ملازم مش فاكر إسمه من قسم تانى، قال له: آه.. كل شئى تمام.. وصل آه، وطلب منى الخروج، وخرجت لكنى من بره سمعت ضحكته وهو بيقول : طبعاً هنرييه.. إنت تؤمر يا عسل، بعدها نادى على العسكرى وأعطه ورقة وإذا هى بها العرض فى الفترة المسائية على جميع الأقسام، ورحلونى على القسم اللى فيه الملازم اللى اتكلم فى التليفون واللى طلع إسمه هانى، دخلونى الحجز ونزل لى الملازم وقال لى: يعنى لازم تزعل النقيب أيمن بيه قدام خطيبته، وقتها بس عرفت سر اللى حصل لى وإن اللى أنا متبهدل عشانه كان ضابط والله العظيم تلاته وحياة ولادى ما

ما أقفل السماعه فى وشك، وبعدما قفل قال لى : ده انت وقعت
وقعه سودا .. ياالله روح ربنا معاك. وأمر انهم بيعثونى للقسم
علشان يفرجوا عنى.. فى القسم وجدته خاليا إلا من رئيس
المباحث الذى كان فى انتظارى الذى نظر لى نظرة جعلنى أشعر
وكأنى لا شىء، وقال لى خليك معنا لبكره لأن المأمور راح
الاستراحة وفضلت فى القسم حتى أخلى سبيلى بعد أن هددونى.
وعدت بعد عشرة أيام ليحقق معى السيد مفتش الداخلية، وبعدها
بيوم حقق معى العميد عادل عبد الصمد. وحتى لحظة كتابتى لهذه
السطور لم تستجب المصلحة لنقلى من السنترال حيث أتعرض
للتهديدات.

والى الآن أشعر أنى أعيش فى رعب وأننى قضى على مستقبلى.
والله يعلم أننى برئ.

مقدمه لسيادتكم

عامر السيد كامل

موظف بسنترال الرمل ومقيم

بشارع العبور

بطاقه شخصية رقم

٣٨٤٥٥٠ بندر رشيد

أنه كان فى المباحث العامة وتم نقله لسوء سلوكه واستخدام العنف
مع المدنيين، المهم التوصيات جاءت بالخير حيث تلقانى محمود
بيه بوابل من الشتائم والرذائل وضربنى فى صدرى بيده وهددنى،
وقال لى انت معمول لك محضر انتحال شخصية ضابط شرطة
فى قسم العامرية، وأقسمت أننى لم أفعل، فطلب لى كل الأقسام
للبحث عن أى شىء لى وبعدها أشبعنى شتائم وقال لى: أصورك
دلوقتى يا (...) أمك يا ابن (...) ونظرت إليه فى عينه وأحسست
أنه يشعر بأننى مظلوم، فقال لى مرتبكا : أنا مش هاكذب رجالتى
وأصدقك أنت ، فقلت له : فعلا وأنا مهما قلت برضه هاكون
غلطان، وسكت، وبعدها أدخلوا أمامى شاب صغير وضربوه
ضربا مبرحا وقال لى : شفت .. الحرامى ده أنصف منك .

سكت نهائيا وأخذنى وخرج، وراح هو وشويه ضباط على أودة
على بك وأعطانى على بك ورقة لأعطيها للعسكرى وقال لى : لو
شفتك هنا تانى هاخرب بيتك وخلي بالك أنا ممكن أجيبك تانى .

ورحلونى إلى قسم مكافحة المخدرات حيث شاء القدر ألا يكون
هناك الضابط المناوب الذى توقعته، حيث غاب فجأة، الضابط
الموجود سمع حكايتى وفى وسطها جاله تليفون ، قلت بس كملت
واتخزوقت يا عامر، لكن سبحان الله فجأة لقيته ثار وشم اللى
بيكلمه وقال له : يا أخى أحمه.. أنا ما اعرفش أظلم حد.. أقفل قبل

بالمناسبة إسم الفتاة التي اتهموني بها بالكامل هناء حسنى على الأنصارى طالبة بكلية التربية الفرقة الثالثة شعبة صناعية قسم نسيج وعنوانها ٦٥ ش وابور الحطب الساحل شبرا ورقم المحضر ٣١٨ جنح آداب اعتراض أنثى.

واسم الضابط الذى يهدلنى النقيب أيمن عبد الرحيم وهو حاليا فى القاهرة يحضر دراسات عليا فى كلية الحقوق .
تليفون والدة الفتاة بالقاهرة ٧٩٦٠٥٣٩

ملاحظة أخيرة: حسبى الله ونعم الوكيل.

وأملئ أن تكونوا سيادتكم سببا فى إنصافى أو حتى فى عدم تعرض لمزيد من السبهلة، واعدكم أننى سأخذ كل الزبائن بالأحضان حتى لو ضربونى على قفايا ولن ألتزم بأى تعليمة من تعليمات الهيئة وأن اربط الحمار مطرح ما يعوز الحمار..

الموت على ارتفاع منخفض

شارع سعد زغلول

١٩٩٩

" ماتقلد امرؤ فلادة خيرا من سَكينة "

لم يكن النوم قد غلبني بعد، رغم أن الوقت قد جاوز الفجر بكثير. فتحت "شيش" البلكونة محدثا ضجة في نصف السكون المحيط. لم تكن الشمس قد اكتمل إشراقها.. لكن النور كان قد بسط بهجته على الحارة وما حولها. هزنتى نسائم الصباح فملت بجسدى على حاجز البلكونة مسندا قدمى إلى قضبانها الحديدية. استدرت عائدا إلى الغرفة.. أحضرت "الووكمان" أو التسجيل أبو سماعات كما تحب أمى أن تدعوه.. وضعت السماعة فى أذنى وأدرت شريطا لمحمد منير.. طربت وأخذت أتمايل غارقا فى تفاصيل الأوركسترا الصباحية التى تغزفها حارة سمكة كل صباح.

وجوه الأطفال المحمرة بفعل هواء الصباح القارس، أعينهم التى لم يمح الماء والصابون أثر "عماص" الأحلام منها، أيادهم القابضة على أكياس السندوتشات التى تضيق حقائبهم الصغيرة الرثة عن حمله خوفا من تلوث الكراريس.. خطى بعضهم متناقلة

وخطى البعض الآخر فرحة متلهفة ليوم صاحب.. بعضهم يسير بصحبة أمه تجره وراءها وهي تلقى نظرات سريعة على هندامه.. ربما تمتد يدها لتعيد خصلة شاردة أو تشد بنطالا متهدلا لكن تعجلها لا يلقى ترحيبا أو تجاوبا.. البعض الآخر يفرغ طاقته السبكر فى ركل أحجار الطريق ونصب الكمان المتقنة للقط النعسانة .. صوت ماكينة الطعمية يهدر من محل "عم نبوى" الذى لم يستقبل كل زبائنه بعد..

يدعى عم نبوى دائما أنه أحسن صنايعى فول فى مصر حسبما شهد له أنور السادات - الذى أصبح بعد سنوات طويلة من شهادته لعم نبوى- حاكما لمصر..

يقول لك عم نبوى ذلك إذا كنت زبونا جديدا وهو يشير إلى الحائط خلفه حيث علقت صورة له مع السادات الذى لم يكن وقت النقاط الصورة من أشيك ١٠ رجال فى العالم. عم محمود صاحب محل الفول المنافس فى الطرف الآخر من الحارة يزعم أن قصة عم نبوى مكذوبة من ساسها لرأسها، لأنه إذا كان السادات وقتها "فسلا" لا أهمية له فما الذى دعاه للتصوير مع نبوى- يقولها من غير لقب عم- أوبمعنى أصح لماذا تحمس نبوى للتصوير معه، ومن أين جاء المصور أساسا، خاصة أن حارة سمكة التى كان

نبوى ينصب فيها عربته قبل أن يفتحها الله فى وجهه ويفتح دكان لو دخلها مصور مجردل لكان ذلك حدثا مشهودا فى تاريخها. "روح لأم راوية- يقول عم محمود قاصدا أم راوية مؤرخة الحارة- وأسألها .. عمر مصور دخل حارة الشيخ سالم، واقطع بتاعى لو قالت لك حصل.. الصورة يابنى مضروبة - يواصل عم محمود فى حرارة- ثم مال الفول ومال صور الرويسا.. أنا شخصيا عندى صورة مع عبدالناصر.. وأظن ده ما حدش يقدر ينكر إنه كان بيتصور مع اللى يسوى واللى ما يسواش..تسألنى ليه ما أعلقهاش فى المحل.. أقول لك أبقي بقلل من قيمتى ومن قيمة الرئيس عبد الناصر.. كنت أعلق صورته الله يرحمه لو كنت جزار ولا حلوانى.. حاجة تليق بمقامه.. مش محل فول.. عيب يالبنى.. أنا بافهم فى الاصول.. وبعدين نبوى ده نخيع وابن وسخة.. عشان شايف الزمن ده زمن السادات ورجالته.. ماكل دول كانوا رجالة المرحوم.. عشان كده معلق صورته مع السادات.. إنما أنا أعلق صورة عبدالناصر دلوقتى عشان الزباين يأكلوا ضرب على قفاهم بدل ماياكلوا فول.. إوعى تفكر إنى باكره السادات.. كان حبيبي ومحمد نجيب حبيبي.. بس انت

عارف إحنا ماكانش ينفع لنا غير الملك فاروق.. إحنا ناس ولاد كلب".

لا تجرؤ طبعاً أن تردد اتهامات عم محمود على مسمع من عم نبوى أوحى تأثير تساؤل حول ما إذا كانت الصورة "مضروبة" لأنك أنت الذى ستخرج "مضروباً" بمغرفة الفول.

أخرجنى صوت عزة من "سرحانى" مع السادات وعم نبوى وعم محمود.. صباح كل يوم يخرجنى صوت عزة من "سرحانى" مع أحد.. تأتى مسرعة من آخر الحارة بسنواتها السبع العجاف وبزيتها المدرسى الكحلى تستحث أباها حسن الذى يسير خلفها متباطئاً يجر جر حقيبته التى بهتت ألوان العلم الأمريكى المطبوع عليها. تقف أمام المنزل المجاور لمنزلنا. تضغط الجرس الأحمر الصغير. ثم ترفع رأسها إلى نوافذ المنزل. لا يظهر أحد. تواصل ضغطها على الجرس متملمة. تأخذ فى النداء بصوت حاد متموج "ياسميين" عندما تياس من مفعول الجرس.

من نافذة الدور الثالث تطل ياسمين بقميصها الوردى وجسدها الضئيل. مفارقة النوم بصعوبة. تشير مرحبة بيد وتفرك عينيها بالأخرى.

-صباح الخير يا ياسمين.

-إصبح الخير يا عزة.. هيه الساعة كام.

-تأخرنا يا حبيبتي.. بقت ستة ونص.. إبقى حصلينى.

-ماشى يا ياسمين.. متشكرة قوى.

كل يوم تبدو جميلة عيونها النصف يقظة وهى تغلق النافذة.

حولت نظرى إلى قفص الطيور الكبير المثبت فى البلكونة المواجهة أسفل بيت ياسمين.. شغوف أنا بالنظر من خلال ثقب السلك المعدنى الصدئة إلى البيغاوات الثلاثة الذهبية التى تسكنها. تبدو لى جميلة النقاط الخضراء التى تملأ رؤوسها وأجنحتها ربما خدعنى النظر فقد لا تكون النقاط خضراء لكن المؤكد أن البيغاوات ذهبية. كان اختيالها الصاحب فى القفص مثيراً للبهجة. لم تكن أصواتها جميلة لكنها كانت تبدو متناغمة نوعاً ما مع زقزقة العصافير وهديل الحمام وهدير ماكينة الطعمية وصياح الديكة التى افتتحت أوركسترا الصباح منذ ما قبل طلوع الفجر مستلثة وردية العمل من الكلاب النابحة طول الليل.

حط على حافة البلكونة قريباً من القفص عصفوران رماديان - منظرهما البائس وخبرتى فى التعرف على الفقراء يؤكدان جوعهما منذ أمد بعيد - اقترب أצלها من القفص فى فقرات هادئة. غره وقوف البيغاوات على أعمدة خشبية مثبتة فى أعلى

القفص الواسع. طار متعلقا بالحافة السفلى للقفص. بعد ثوان لحقه رفيقه. طمأنهما سكون البيغاوات اللواتي شغلن تنظيف ريشهن - جزمت من فترة أنهن إناث.. ربما لجمالهن الزائد عن الحد - أخذ العصفوران ينقران الحب المتناثر على أطراف أرضية القفص بينما يتأرجح جسدهما بخفة وبهلوانية مؤديان وضعا يعجز عن أدائه عتاولة السيرك القومي بالعجوزة.. لم يكادا يهتئان بابتلاع حبة أو حبتين حتى انقضت عليهما البيغاوات الثلاث ينقرنهما بوحشية في ماتييسر من جسديهما.. صمد العصفوران لوهلة محاولين تكبد عناء النقر ومواصلين تناول طعاميهما.. لكن نقرتين في عيني كل منهما أطاحت بهما بعيدا عن القفص مصدرين صيحة ألم - هكذا أظنها فقد كانت المرة الأولى التي أسمع فيها صوتا كهذا يصدر عن طير - .. اختل توازن العصفورين المسكينين وتأرجحا في الهواء قبل أن يستعيدا ذاتيهما كعصفورين ويطيران بخفة مستقرين فوق سور البلكونة المواجهة للقفص..

" الحقيني يا إصلاح.. أبويا مات يا إصلاح.. مات وقلبه غضبان عليك يا واطية" .. هكذا جاء صوتها يسبقها داخلا الى الحارة حاملا مزيجا من الحزن والتشفي والاحتياج للمشاركة.. من بعده دخلت الى الحارة اعتدال أخت زوجة صاحب شقتنا عبد الواحد أو

عبد الواحد عدو الله كما كنا نسميه.. مولولة متشحتفة منعكشة داعية على أختها ومستجدة بها وشاتمة زوجها الذي أوغر صدرها على أبيها وفرق بينها وبينه.. ماهي إلا لحظات وانبرت لها أختها مولولة متشحتفة تنكش شعرها وتشق هدومها وتدعو على زوجها الذي أوغر صدرها على أبيها وفرق بينها وبينه عشان يستفرد بيها ويكوش على فلووسها ودهبها.. بمجرد أن وصلت إصلاح إلى أختها فاجأتها أختها بأن رقعته (قلما) سمعت الحارة كلها صوته مجسما.. لم يكن وقت مثل هذا جديرا بقلم مثل هذا.. لكن إصلاح تقبلته في صمت ربما لعلها تعلم يقينا داخلها أنها تستحقه لسبب ما لا يعلمه إلا الله وهي وأختها وربما أبوهما رحمه الله وربما أمهما ربنا يديها الصحة وربما آخرون لا يعلمهم إلا الله.. دون أن تمر فترة زمنية كافية لاستيعاب القلم الذي أكلته إصلاح على خلقتها ارتمت أختها في حضنها وأخذتا تتمرغان في أحزانهما سويا.. بعد قليل خرج عبد الواحد ينفض عن وجهه آثار الصباح الأغير يحاول أن يبدو حزينا ويرفع صوته بما يقال عادة في مناسبات كهذه محاولا أن يعلو صوته على صوت إعتدال التي تلحن سنسفيله وسنسفيل جدوده الأوساخ.

بعد لحظات من شحذ الهمم عاد العصفوران الفقيران للانقضاض على القفص .. مستغلين ماظناه خمولا من البيغاوات الثلاث اللواتي توقفن للحظات عن الأكل .. ربما ظن العصفوران المسكينان هذا التوقف شبيعا لكنه لم يكن كذلك .. أو لعل هذا ما أدركاه عندما انقضت عليهن البيغاوات بشراسة أعتى هذه المرة .. لم يكن لهذه الشراسة مبرر بعد كل ماأكلته البيغاوات من أكل هو بالتأكيد زائد عن حاجتهن .. خاصة أن كل ماكان العصفوران سيصلان إليه بمنقاريهما الضئيلين لايتجاوز حبات قليلات يمكن عدها على أصابع أرجل البيغاوات .. هي الحبات التي استقرت على حافة القفص الخشبي العريض .. كان واضحا لكل ذي عينين أن الموضوع لاعلاقة له بالأكل أو الجوع أو الشبع .. هناك ضديات تكنها البيغاوات لهذين العصفورين المسكينين .. ضديات فلسفية لايمكن فهمها إلا من خلال تقمص شخصية بيغاء محبوس في قفص لفترة طويلة ينظر الى عصفور طليق يسعى في مناكب السماوات .. الجوع الكافر هو الذي خيل للعصفورين المسكينين أنهما يمكن لهما أن يحتملا ضربات مناقير البيغاوات التي لم أكن محتاجا لأن أكون عصفورا لأدرك مدى إيلاهما .. فصوت هذه المناقير عندما يضرب في خشب أرضية القفص يصلني واضحا

قويا أنا الذي تفصلني عن القفص أمتار .. فما بالك لو وقعت هذه الضربات على قليل من اللحم المكسو بالريش .. أستطيع أن أجزم دون حاجة للتمعن أن ماظننته دما يسيل من العصفورين الذين عجزا عن الإحتمال وابتعدا عن القفص .. هو دم بالفعل .
صوت ماكيننة الطعمية أصبح الآن أضعف بعد أن غطت عليه أصوات نواح اعتدال وإصلاح وابتهالات عبد الواحد عدو الله لربه بأن يرحم الفقيد الذي اتخطف .. بين الحين والآخر ومن بلكونة هنا وشباك هناك تأتي تعزية أو مواساة أو صويط مجاملة أو دعوة بالرحمة أو سؤال عن موعد صلاة الجنازة ومكان العزاء ..

فجأة خرجت أم عبير من باب العقار — أحسب أن هذه الكلمة تكون الأصدق حالا في وصفه فالذي نسكنه ليس عمارة ولا بيتا .. هو ربك والحق خطأ معماري شنيع لايمكن المداراة عليه إلا بوصفه بالعقار — .. لاتستهن بي عندما أقطع لك الحكاية بهذه الجملة (فجأة خرجت أم عبير ..) .. لاتقل لي ومن هي أم عبير هذه التي تستحق هذا الدخول الملحمي .. في حارة سمكة لايعذر المرء بجهله خصوصا إذا تعلق الأمر بأم عبير التي يحسب الجميع لها ألف حساب لأسباب عديدة على رأسها أو أهمها أو

الخرائيت البشرية جمالا- ومن خلفهما المنجد الذي يحمل مرتبة قطنية لم يسعفه الوقت لكي ينتهي من إنجازها بالأمس ولم يعد أمامه من بد سوى أن ينتهي منها اليوم طبقا لـ "الإسكيديوال" الموضوع له من أم عبير التي لن تسمح لأمثاله بأن يعطل ولو للحظة ترتيبات استعدادها لزفاف ابنتها التي سيفك الله عقدها أخيرا بعد أن وجدت الكيال النتن الذي يقدر فولتها المسوسة حق قدرها.

زغرت أم عبير للثلاثي الحزين الذي يكاد يسد مدخل باب العقار حيث من المفترض أن تجري مراسم اكتمال عملية التتجيد للمرتبة التي من المفترض أن تنال عبير متعتها عليها عما قريب .. تحاشى الثلاثي الحزين النظر إليها انتظارا لجملة مواساة تأتي منها تكون مدخلا لحديث ما يعلم الله ماسياتي فيه .. من شباك هنا وبلكونة هناك تأتي الآن عبارات تحية تصبح بالخير على أم عبير وتسال الله بأن يتم لبنتها عروسة الحنة بألف خير ويسعد أيامها .. ترد أم عبير بهزات مجاملة من رأسها وهي تواصل زغرتها لعبد الواحد وآله .. ربما ترى أن زغرتها لانتسق مع وضعها الطبقي كمستأجرة في عقار عبد الواحد .. ولكن من قال أن قوانين العلاقة بين المالك والمستأجر تعني شيئا لأم عبير التي

لعله السبب الوحيد أن لها شجرة تدخل الرهبة في النفوس .. لاتسلني كيف لأنني سأقول لك أنها شجرة لايمكن تجسيدها في كلمات قليلة .. ينبغي لك أن تسمعها لكي تتبين أثرها المعنوي الذي يباغت أجدعها شنب ويجعله يفكر ألف مرة قبل أن يرد على أم عبير أو يدوس لها على طرف .. أذكر هنا أن أحد شباب الحي قال لي يوما ونحن نجلس على القهوة نراقب خناقة من خناقات أم عبير أنه يتعجب كيف أن الدولة لم تنتبه خلال الحروب الماضية التي خضناها مع إسرائيل إلى أهمية حنجرة أم عبير كسلاح معنوي كان من الممكن أن يكون أجدى لنا من صوت أحمد سعيد وأغنية أصبح عندي الآن بندقية .. لم يكن يتريق بالمناسبة بل كان له خطة متكاملة للأمر هي أن تخصص إذاعة موجهة الى جنود العدو - باعتبار ماكان - تذيع شجرة أم عبير بتبويغات مختلفة وبتونات صوتية مختلفة طيلة فترة البث .. وابقى قابلني لو استطاع أحدهم أن يصمد لأكثر من يوم دون أن ينهار ويطلب العودة إلى موطنه الأصلي تاركا أرض الأجداد للأحفاد.

لاتقل لي أن هذا ليس موضوعنا الآن .. بالعكس كان يجب أن أستطرد لك في شرح الأمر لكي تكون في صورة الحدث الذي سيحدث بعد قليل .. خرجت أم عبير ومن خلفها عبير - أكثر

تمتلك قانونها الخاص الذي أجملته ذات يوم بعبارتها الخالدة "إن عشت هاذلكو وإن مت الله يسهلكو".

فجأة ودون سابق إنذار قصفت أم عبير ثلة الحزانى التي تهدد يوم ابنتها السعيد بالفال الوحش " ماخلاص بقى يا عبد الواحد .. هو موال ولا موال .. بقى لكو نص ساعة بتبربروا و تندبوا على الراجل اللي كنتو بتطلعو ميتين أهله كل يوم .. الحزن في القلب يامرة منك ليها .. حبكت يعني تقلبوها مناحة لما جينا نفرح لو حارقكو قوي المرحوم روحوا الطموا وشنشوا هناك تحت بيته.. يا الله ماتتكدوش على بنتي وخلوا يومكو الخرا ده يعدي" .. ربما رد عبد الواحد هو وزوجته وأختها على هجوم أم عبير البربري الغاشم لكنه بالتأكيد كان ردا أقرب الى المهمة لم يسمعه أحد من الواقفين في شباك هنا أو بلكونة هناك وبالتأكيد لم تسمعه أم عبير التي لاتبعد عنهم أكثر من سنتيمترات، أغلب الظن أنه كان ردا بالنية وإنما الأعمال بالنيات.. على أي حال عبد الواحد عدو الله وأهل بيته إن لم يكن لديهم القدر الكافي من الحكمة لكي يمتنعوا عن الرد على أم عبير فلديهم بالتأكيد القدر الكافي من الهم الذي لا يريدون أن تثره أم عبير لهم.. لذلك فقد اخفقوا تدريجيا من الحارة كأنهم اتخذوا قرار الانصراف الى بيت المرحوم

بمحض إرادتهم متجاهلين أم عبير تماما ومتعاملين معها بوصفها كارثة طبيعية لاسبيل لدرئها أو حتى الإعتراض عليها أو لاسمح الله السؤال عن حكمة وقوعها لأن ذلك يدخل في باب الكفر الذي لايرتكبه أناس مؤمنون مثلهم.

كأن حوارا طويلا انتهى للتو بين العصفورين المسكينين .. لأعلم منطلق الطير لكنني أستطيع أن أجزم بأن حوارا ساخنا وحادا كان يجري بينهما .. ومن خلال موقعي أستطيع أن أؤكد أيضا أن الصوت الأعلى في الحوار كان للعصفور الأضال حجما وأكثر تضررا من جراح المعركة .. شئ ما في عينيه ينبئنني أنه يعد لشئ وأنه لايعتبر أن المعركة انتهت .. وهو مأميل الى أن العصفور الأكبر حجما والأقل تضررا من جراح المعركة يشاطر فيه البيغاوات الثلاث التي تملأ القفص ضجيجا واختيالا وزهوا بما تعتبره نصرا حتى ولو كان على عدو لايمتلك قوة تذكر.

بعد صمت قصير عاد العصفور الأضال الى رفع صوته على رفيقه الذي اكتفى بالصمت ثم أصدر صوتا خفيا غير مفهوم شممت منه رائحة النصيحة.. لم ينتظر العصفور الأضال حتى ينتهي رفيقه الحكيم من إكمال حديثه .. اندفع كالسهم الى القفص مستغلا انشغال البيغاوات الثلاث في الرفرفة بأجنحتها في سماء

القفص كانت سانحة له، في أسوأ الأحوال كان سيطوله منقار أو اثنين قبل أن يسارع بالهرب مكتفياً بالقليل الذي ناله وموجلاً الباقي لفرصة أخرى ربما تأتي بعملية جريئة أخرى، لكنه لم يفعل واستمر في نقر الحب وتناوله بنهم لا يتناسب مع الخطر الذي لم يعد يحرق به بل حل به بالفعل، كان حجم مناقير الببغاوات يسمح لهن بتوجيه ضربات محكمة للمسكين من خلال الثقوب الواسعة للشبكة المعدنية التي تحيط بالقفص، لأستطيع أن أصفه بأنه بدأ مستسلماً لهن كما قد يخيل لبعضكم من حديثي فهو لم يتوقف ولو للحظة عن الاستمرار في نقر الحب وأكله وهو ما كان يزيد الببغاوات شراسة وسعيراً وإصراراً على الفتك به وهو مستمر فيما يفعله دون أن يحاول الإفلات أو التراجع ودون أن يصدر أصوات تأوه، الغريب الذي أقسم بالله العلي العظيم عليه أنه كان في وسط كل هذه المعركة الشرسة يغرد بأصوات لم أسمع لجمالها مثيلاً على كثرة ما سمعت من أصوات تغريد الطيور سواء ما كان منها وجهاً لوجه أو عبر وسيط مسموع أو مرئي، كان صوته الساحر يغطي على أصواتهن الغاضبة التي صاحبت عقابهن الوحشي له، لم يكن بيدي ما أفعله له، كنت أتمنى أن تكون لدي القدرة على أن أطير صوب القفص لكي أخلصه من برائتهن

القفص .. ما إن تعلق قدماه بطرف القفص حتى قام بسرعة بمحاولة لتحقيق التوازن لجسده الضئيل لكي لا يتأرجح في الهواء عبثاً وأخذ يسدد ضربات خاطفة بمنقاره للحبوب التي زاد تناثرها على طرف القفص بسبب الحركة الدائمة للببغاوات والتي نثرت محتويات طبق الحبوب في أرضية القفص .. بدا للحظات أنه يحقق تقدماً كاسحاً لم يمنع قلبه الطيب من أن يحثه على النظر إلى رفيقه الذي أثر السلامة ليشجعه بصيحة غير محسوبة على الانضمام إليه لكي ينوله من الحب جانب، وهو ما أفلح فيه بالفعل حيث بدأ رفيقه في الاستعداد للحركة ليلحق بصاحبه عله ينول شيئاً يخفف عذابه الذي زاد بعد التقدم الشجاع لرفيقه في أرض العدو، فجأة تبدل سير المعركة، فصيحة الجدعة التي أطلقها العصفور الشجاع أخرجت الببغاوات من غفلتهن .. فجأة نظرن إلى أسفل القفص لتدركن فداحة الاختراق الذي نجح هذا العدو الضئيل في تحقيقه، جاء ردهن لحظياً وفاتكاً، شرسته كانت بديهية فهي رد فعل على خيبة أمهين في نصر ظننه قد تحقق لهن فجاء هذا الضئيل ليكذبه بوجوده الوقح داخل حدودهن، انقضضن عليه بكل ما أوتيتن من قوة وكأنه صار رمزا تجسدت فيه كل مخاوفهن وآلامهن، الغريب أنه لم يسارع بالهرب برغم أن

ناصرعا، هل تصدقونني لو قلت لكم أن صوت ارتطام جسده بالمرتبة كان مخيفا لدرجة أن الحارة كلها توقفت عن الحركة، حتى ماكينة الطعمية توقفت، أقسم لكم أنها توقفت لثوان. هي نفسها الثواني التي صمتت فيها أم عبير حتى تستوعب ماحدث، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها اللبغاوات قبل أن تعود لإصدار أصوات النشوة والإبتهاج، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها العصفور النذل مذهولا قبل أن يصدر أصواتا لا يحتاج أي شخص حتى لو لم يعلم منطق الطير أن يدرك أنها أصوات حسرة وبكاء، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها مهزوما قبل أن أبكي على نفسي لا عليه، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها عبير قبل أن تبكي ببلاهة، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها المنجد قبل أن يحوقل. هي نفسها الثواني التي انتهت عندما لعلت في فضاء الحارة شجرة لعلها الأعنف في تاريخ الحارة وتاريخ أم عبير، شجرة هي الأحقر والأقبح والأكثر دناءة ووحشية في تاريخ الكون كله، لم تكتمف بها أم عبير بل انطلقت بوابل من الشتائم تشتم العصافير وميتين أم العصافير وديك أم العصافير، فجأة انحنت على الأرض لتلتقط حجرا وتسدد به ضربة مليئة بالغل والحقد صوب العصفور النذل الذي لم يكن قد أفاق بعد من ذهوله ولم يقو

وأطير به بعيدا إلى مكان آمن لكي أدوي جراحه التي لم يعد من العسير إدراك كثرتها، كان رفيقه يكتفي بنظرة بلهاء جامدة لما يحدث، لم يفكر الحقيير في أن يفعل شيئا أي شيء لكي ينجذ رفيقه، كان من الممكن أن يفعل شيئا لو أراد ، على الأقل كان موقعه يتيح له أن يطير لكي يدفع بجسمه رفيقه الجريح بعيدا عن الققص أيا كانت النتيجة، كان موقعي لايتيح لي سوى أن أرى الجانب الخلفي من جسد العصفور البطل الذي لم يعد فيه موضع إلا وبه ضربة منقار لبيغاء، لم يمنعه تتأقل جسده من مواصلة سخريته منهن بالتقاط الحب والتغريد، توحدت معه إلى حد أصبحت أحس فيه الضربات الموجهة إليه تضرب في سويداء قلبي، عندها فقط أدركت مدى عذابه، أدركت كم هو مؤلم أن تكون بطلا، آآآه، لماذا جاء سقوطه هكذا دون مقدمات ليفاجئ حتى عدواته الثلاث، لو ترنح حتى ولو قليلا، لو اختل توازنه قبل أن يسقط، لو انقطع حتى صوت تغريده ولو لحظة ليوحى بما سيحدث، لماذا يارب سقط جسده هكذا فجأة في الفراغ، الأرجح أن النهاية جاءت على إثر ضربة محكمة في إحدى عينيه، هكذا خيل إلي وأنا أحاول أن ألتقط نظرة من عينيه وهو يسقط في فراغ الحارة قبل أن يهوي جسده الدامي على مرتبة عبير لتلوث دماؤه بياضها الذي لم يكن

بعد على أن يفارق حاجز الشرفة المواجهة لقفص البيغاوات القاتلات، كأن بطلا في الرماية هو الذي رمى ذلك الحجر وإلا لما أصاب بهذه الدقة منتصف رأس العصفور الذي لعله أول عصفور في التاريخ يقتله الذهول قبل أن تقتله ضربة حجر، حتى أم عبير لم تكن تتوقع ماحدث ولو كانت تتوقع لما رمت الحجر، فالمرتبة لم تكن ينقصها عصفور آخر يسقط في فراغ الحارة ليستقر جسده الدامي على طرف المرتبة هذه المرة ملوثا ماتبقى من بياضها غير الناصع. كان المنظر من حيث أفق مثيرا للرتاء والإشمزاز والحزن في آن.. لكن كل هذه المشاعر التي كانت تتصارع داخلي لم تمنع أم عبير من مواصلة إطلاق شخراتها ولم تمنع المنجد من حمل الجسدين الضئيلين القتيلين وإلقائهم إلى حيث تتخطفهما قطط الحارة ولم تمنع البيغاوات القاتلات من مواصلة الطيران المبتهج في سماء القفص المحدودة ولم تمنع ماكينة الطعمية من الدوران ولم تمنع محمد منير من مواصلة الغناء في الووكمان "وقلبي من بعد الطيران ماحيلته إلا جناح مكسور .. دلوقتي لما باقول الآه وانت بعيد مين يسمعي".

نص الخطاب التاريخي الذي ألقاه فخامة السيد الرئيس محمد أنور السادات في ديسمبر عام ١٩٨١ بعد نجاحه من حادث المنصة الإجماعي !

.. لكن ربنا ستر

" هي دي مصر يا عبلة "

الزمان: ظهر ٦ أكتوبر عام ١٩٨١

المكان: مستشفى المعادى العسكرى، الدور الثانى، أمام حجرة الطوارئ تقف السيدة جيهان السادات والسيدات بناتها منخرطات في البكاء، كبار رجال الدولة انصرفوا منذ قليل ليجمعوا في مجلس الوزراء بعد أن طالبتهم السيدة جيهان السادات قرينة السيد الرئيس بأن ينقذوا مصر ويضعوا مصلحتها فوق كل اعتبار. على مقربة من السيدة جيهان يجلس كمال الشاذلى على مقعد ركبته مصابة ويتمم يا رب احفظ حياة الرئيس.. يارب، بالقرب منه يبكى موسى صبرى وجلال عيسى ويؤمنان على دعاء الشاذلى، بعد لحظات من الانتظار مرت كأنها دهر يخرج رجل من حجرة الطوارئ متهلل الوجه ليهتف: الحمد لله.. الرئيس هيعيش.. فتطلق الزغاريد وهتافات الفرح.

مساء ٦ أكتوبر عام ١٩٨١، نشرة التاسعة مساء:

بيان رسمى يزف إلى الناس البشرى ويؤكد أن الرئيس يخضع حالياً لعناية طبية مكثفة وإن حالته ستستقر وتجاوزت مرحلة الخطر، بيان آخر يعلن القبض على جميع مرتكبي المؤامرة الفاشلة وبدء التحقيق معهم.

مساء ٧ أكتوبر عام ١٩٨١، نشرة التاسعة مساء:

الإعلان عن وصول فريق طبي أمريكى من كبار الأطباء العالميين بصحبة جمال ابن الرئيس السادات الذى كان مسافراً إلى الولايات المتحدة، في نفس الوقت يتم الإعلان عن قرب وصول فرق طبية فرنسية وبريطانية وألمانية وإسرائيلية وأسبانية.

مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٨١:

بيان رسمى يعلن تماثل الرئيس السادات للشفاء التام واجتيازه فترة النقاهة وعودته إلى قصر الرئاسة بصحبة السيدة قرينته وأولاده وبناته وسط استقبال شعبى حافل، ويتم في النشرة الرسمية للتلفزيون إذاعة مشاهد من العودة، وبرقيات تهنئة من كل دول العالم، والإعلان عن وصول عدد من كبار رؤساء وملوك دول العالم لتهنئة الرئيس بسلامته.

مساء ٢٩ نوفمبر عام ١٩٨١، نشرة التاسعة مساء:

يتصدر النشرة خبر عن إلقاء الرئيس السادات لخطاب إلى الأمة في مجلس الشعب صباح ١ ديسمبر عام ١٩٨١ بحضور جميع قيادات الدولة والجيش وممثلين عن جميع التنظيمات النقابية والشعبية.

صباح ١ ديسمبر عام ١٩٨١:

يقطع التلفزيون المصرى برامجه وبعد إذاعة عدد من الأغاني الوطنية ينتقل الميكرفون إلى إذاعة خارجية من مبنى مجلس الشعب في شارع القصر العيني لإذاعة وقائع الجلسة التاريخية التى سيلقى فخامة الرئيس خطابه التاريخى فيها، في ركن من أركان شرفة الصحافة يجلس المذيع أحمد سمير ليقول بصوته الجمهورى:

— أيها السادة والسيدات، هذه لحظات خالدة في تاريخ مصر، سيسجلها التاريخ بأحرف من نور، ننتظر معكم وصول السيد الرئيس إلى مجلس الشعب ليوجه خطابه إلى شعبه الذى ينتظره ويسجد لله شكراً على سلامته. بالفعل الآن يصل السيد الرئيس إلى المجلس ويصافح كبار مستقبله وما هو يدخل إلى القاعة ليقابل

بتصفيق حار لا مثيل له من ممثلى الشعب المصرى، والآن نترككم مع خطاب السيد الرئيس التاريخى، فليسمع الكون كله له.

بسم الله الرحمن الرحيم

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين

وكذلك ننجى المؤمنين والله يعصمك من الناس..

الإخوة والأخوات، أبنائى، شعبي، جيشى.

اخترت أن أتوجه بحدیثى إليكم من بيت الشعب وقلعته، من مجلس الشعب، واخترت أن يكون هذا الحديث صادقاً وصريحاً ومن غير إعداد ولا تزويق.. حديثاً من القلب.. آآ.. آآ. والحقيقة مش عارف ألقى بداية لكلامي أحسن من أنني أقول الحمد لله..

مصر بخير، كتب الله لها النجاة من مجهول، ربنا أراد لها البقاء والاستمرار في أداء دورها الحضارى والوقوف ضد كل المؤامرات، وأنا يمكن حسيت بده وأنا على سريرى في المستشفى، أول ما ربنا كرمنى، كل شوية بيجى لى تقرير عن صلوات التضرع إلى الله اللى كان بيقوم بها ولادى في كل جوامع وكنائس مصر، بعضها حكى لى عنه الإخوة في الأزهر والكنيسة وبعضها الآخر جابهولى الأخ النبوى إسماعيل لإن رجالته صوروها لى بالفيديو مع إنى كنت لغيت التسجيلات وحرقت

الشرايط زى مانتو عارفين بس يعنى بقى للضرورة أحكام والبلد كانت على كف آآ عفريت، ماعندكوش فكرة الشرايط دى قطعت في قد إيه وقد إيه كانت بتهزنى وتؤثر في دموع الناس في التليفزيون وقد إيه حسيت بالسعادة لما سمعت بودنى الزغاريد اللى ملت مصر وحكوا لى برضه عن الشربات اللى انفرت في كل حة في مصر، والعجول والخرفان والفراخ اللى اندبحت في كل بيت، كل واحد وطاقته، حتى اللى ماكانش قادر يفتح غير علبه تونة فتح تونة قلت لهم وماله أهو بيعبر عن فرحته بطريقته. قلت لنفسى أحمدك يارب إنك ساعدتتى على الرجوع لشعبي وأبنائى وعيلتى عشان مصر ماتضيعش وتستمر قوية وأم الدنيا، حسيت إن مصر كلها كانت عيلة مستتية رجوع كبيرها بالسلامة عشان يرجع لها توازنها واستقرارها. وده أيها الإخوة والأخوات يؤكد أن الحق لا يبنى شيئاً ولا يجد مكاناً في صفوف شعبنا الطيب، وأن أخلاق القرية وقيمها هى التى تنتصر في النهاية مهما تأمر المتآمرون الأوغاد وأن شعبي سيظل كما عودته وتعودته قادراً في أصعب الساعات على مواجهة التحديات بصدق وشجاعة.

عيشه بعد ماربنا مد في عمرى لإن دى مش أخلاق القرية، ومش هانساله إنه حتى لو المرة دى جلت منه كانت ضببت معاه قبل كده وتقدروا تسألوا النبوى عن محاولات الاغتيال الكثيرة اللي أحبطها، وأنا باقول له اتكلم يا نبوى وقول للناس عن المحاولات اللي اتضببت قبل كده، بلاش النبوى، أحكى لكم أنا فيه متأميرين حاولوا اغتالي وتدمير مستقبل مصر ٣٨ مرة، ٣٨ مرة يا شعب مصر، ٨ محاولات شيوعية و ١١ محاولة ليبية و ٩ محاولات من دول الرفض و ٩ محاولات منظرية ومرة إيران. تمانية وحداشر وتسعة وتسعة وواحد يبقى ٣٨ محاولة وربنا بيحفظ مصر في كل مرة، وعشان تسبقوا عارفين المخبرات الليبية عملت محاولة في سبتمبر عام ١٩٨١، وسموها عملية جون كينيدي، وجندوا واد من قنا، واتمسك، والنبوى قال لى وأنا في المعمورة حكاية الواد والبندقية اللي عايز يقتلنى بيها زى ما اتقتل جون كيندى، كينيدي مين يا حبيبي، فاكريني كروديا، إحنا مش في تكساس، إحنا في مصر بلد الأمن والأمان، يومها قلت لجيهان.. القذافي كان عايز يقتلنى بالبندقية دى يا جيهان وكنت عايز أعملها في متحف، القذافي دون اللي أعلن مسؤوليته عن المحاولة الفاشلة اللي كان فاكرها نجحت، كفاية إنه في يوم من الأيام وصل فيه الإسفاف إنه

باجى دلوقتى للمؤامرة والمتأميرين الأوغاد وأنصارهم من الأفندية الأرازل اللي بيموتوا بغيطهم دلوقتى، مش باتكلم على شوية العيال اللي هم مرميين في السجن دلوقتى زى الكلاب، مستنيين حكم العدالة اللي لازم تقتض منهم وتستأصلهم، انتوا عارفين إن إحنا ماينتدخلش في القضاء وإرادته طبعاً، لكن أنا باردد اللي جوه قلوب شعبي، العيال دول مجرد أدوات لعقول مدبرة ربنا أراد يحبطهم، زى ما ربنا أحبط ناس كثير، مش عارف أقول مين ولا مين، انتوا عارفين كل حاجة.. القذافي والأسد ودول الرفض وبتوع الصمود والتصدى ومش عارف إيه وبتوع الدقون وهيكل والعيال الشيوعيين الأرازل، كل دول ربنا أحبطهم بقدرته وإرادته.

أنا عايز شعبي يعرف إن أنا كنت مستنى اللي وقع يقع، حتستغربوا طبعاً، والله أنا كنت مستنى اللي وقع يقع، حقيقة ليه، حاجياكم وأقولكم ليه... عشان مش دى أول مرة أعرف إن فيه محاولات لتدمير مستقبل مصر، أنا صحيح أقلت النبوى إسماعيل عشان وصلتنى تقارير إن العيال بتوعه جت لهم معلومات عن المحاولة الفاشلة وماكانوش صاحيين، لكن أنا رجعت تانى كرمال حلوة النصر اللي ربي نصرها لى وقلت مايصحش إنى أقطع

لهم إيه الكلام الفارغ ده، أنا وسط أولادى... ودى فرصة بقى
عشان أحكى لكم اللي حصل بالضبط لأننى سمعت كلام كثير من
المعرضين إن أنا كنت مذهول وضربت لخرة وقلت مش معقول
وغير ده من الكلام الفاضى، وإن ولادى جروا ونزلوا تحت
الكراسى، أنا مش هانكر إن بعضهم عمل كده فعلا لإننا في بلد
مؤمن والكذاب بيروح النار، هو اللي حصل من ولادى طبعاً كان
تصرف غريزى ويحصل في أحسن محاولات الاغتيال، لكن كله
كوم وإن حد يتكلم عن شجاعة قلب أنور السادات أو يشكك في
رباطة جأشه فده كوم تانى، اللي بيتكلموا دول نسيوا إنهم بيتكلموا
مع السادات اللي شاف الهوايل ومن هو صغير، اللي حصل إنى
أنا كنت بانفرج ع الطيارات وفرحان بجيشي العظيم، أولما لقيت
العربية اللي وقفت من بين الطابور وناس بتنتظ منها وصوت
رصاص، عرفت أن ساعة المواجهة مع أعداء شعبي جت، وقفت
بكل شجاعة والحمد لله، ولما أول واد من العيال الأندال اللي
هيحصل القصاص منهم قرب منى، وجت أول رصاصة في
صدرى.. آ.. آ.. آ. صرخت بكل صوتى وقلت له إزاي يا ولد
ترفع سلاحك على أبوك انت اتجننت يا ولد إزاي تحاول تقتل
الرئيس المؤمن اللي أرسى دعائم دولة العلم والإيمان، الواد

يلسن بالكلام على أهل بيتى مع إنه كان ابن من أبنائى لما كان
بيجى مصر، وأستضيفه في بيتى ومع زوجتى وأولادى وكان
يعامل كأحد أفراد العائلة وهو يعلم هذا لكنه رجل مريض وسيأتى
الوقت المناسب لنقول كل شىء عن هذا الرجل.

قبل كده في مايو عام ١٩٨١ مسكوا فلسطينى جاي من سوريا
معاه راديو كاسيت فيه ديناميت، يعني تشغل الشرق الأوسط تلاقيه
وليع بيك.. وقبل كده برضه جه تلفون من الدكتور كرايسكى
للدكتور على السمان صديقه، قبل ما أسافر أمريكا بأسبوعين في
الرحلة اللي فانتت دى على طول، وقال له إن عنده معلومات إن
في محاولة لاغتيالى وأنا في الزيارة، وبرضه ماهمنيش..

أنا كنت عارف أن رأسى مطلوبة، بس مؤمن إن الأعمار بيد الله،
الوحيدين اللي كنت باخاف عليهم هم أولادى، مرة عثمان أحمد
عثمان قال لى بعد زيارة للمنصورة، من اللي كنت باقابل فيها
شعبي، نهدي شوية يا ريس، قلت له. إنت عبيط يا عثمان، عمر
الإنسان محدد، وسأموت في اللحظة التى يشاء لى ربي أن أموت
فيها، وأنا كنت رايع المنصة وأنا عارف إن العيال حسب كلام
النبوى، بقت خطوطهم مقطوعة، خاصة بعدما هددت الواد الزمر
في خطابى، وعشان كده مارضيتش ألبس القميص الواقى، قلت

والعيال اللي معاه أصيبوا بذهول ولمحت دموع الندم في عينيهم، كان هو مذهول من منظر الدم اللي نازل منى وأنا واقف بكل ثبات وشجاعة.. وكان ممكن ربنا يعدى الأمور على خير، لولا رصاصة الغدر اللي أنا عارف جت منين. والكلام ده يحكيهولكو كبير الياوران وسمير حلمى والأنبا صمويل الله يرحمهم، وفوزى عبدالحافظ ووجدى أسعد رئيس أمن الرياسة اللي لسه في المستشفى.

المهم عشان ما أفوتكوش في الكلام لما الرصاصة دخلت رقبتى وأنا باقع على الأرض لقيت نور بين السما والأرض وصوت بيقول لى.. شعبك لسه عايزك يا أنور.. اجمد.. والحمد لله أدبنى واقف بين شعبي النهاردة، وربنا وفق رجالتى إنهم يعلنوا قرار إن يوم ٢٩ أكتوبر يبقى عيد اسمه عيد النجاة تحتفل مصر بيه كل سنة والعاملين في الدولة ياخدوا أجازة رسمية ويفسحوا ولادهم ويودوهم القناطر وجنينة الحيوانات ويقولوا لهم النهاردة يا ولاد اتكتب لمصر عمر جديد، لأن اللي حصل لى ماكانش هيتضر فيه حد غير مصر.

باجى بقى للناس اللي شمنت قبل ما تنجلي الحقيقة، ودول ناس ما عندهمش أخلاق القرية اللي اتعلمنا فيها إن مافيش شماتة في

الموت، وأنا باتكلم هنا عن رؤساء دول الرفض اللي مسميين نفسهم قال إيه الصمود والتصدى اللي ملوا إذاعاتهم أغانى وأفراح.. وعن بتوع الدقون اللي قعدوا يكبروا ويهللوا ويقولوا هلك الهالك. طب أما نشوف مين الهالك ومين اللي هيهلك، ولا الواد اسمه إيه آه عادل عيد اللي هتف في السجن مع الأفندية الأرازل وقال تحيا مصر، من غير ما يعرف إيه اللي كان هيجصل لمصر لو، لا قدر الله والشر بره ويعيد، كان حصل اللي حصل، هم قالوا لى إن هيكل عيط في السجن لما سمع الخبر، بس أنا ماصدقتش قلت لهم دى دموع الفرحة، وإن ماكانتش تبقى دموع التماسيح، ده هيكل ولويس التاسع عشر وشوية الأرازل اللي معاهم أكثر ناس تفرح فى، وكفاية الواد الشاعر البذئ اللي اسمه نجم اللي طلع أغنية حاقدة يقول فيها. لا إله الله مات الندل وموت دواه. أنا ندل يا حقير، في حد يشمت في الموت، هى دى أخلاق القرية.. احنا عمرنا ما كنا كده، ده بيشت فى لأنه ملحد، والراجل الأعمى إمام اللي معاه ده أنا عطفت عليه وماطرش فيه معقوله يعمل كده، ولا اللي قالوا لى عليهم إنهم بيصلوا صلاة الشكر في السجن لما سعوا الخبر، ملاحدة وبيصلوا.. على رأى المثل يعملوها ويخيلوا. باجى بقى لى قالوه العيال اللي حاولوا

ينفذوا المؤامرة، واد منهم اسمه عبد الحميد قال إنه حاول يقتلني
عشان الدولة فيها مفاسد وخمور وربا، وإن الحكومة كافرة، واد
تاني اسمه عطا قال إني باحكم بالديمقراطية اللي هي كفر وأنه خد
ثقافته من كتب وخطب كشك والمحلاوى، والتالت اللي اسمه
حسين قال إنه حاول يقتلني عشان أنا شتمت المحلاوى وقلت عليه
مرمى في السجن زى الكلب وأنى قلت عن حافظ سلامة إنه
مجنون وشتمت النقاب وقلت عليه خيمة وإن أنا ظالم، أنا ظالم يا
حسين.. طيب.. ماشي يا حسين.. أنا بقى هاوريك الظلم على
أصوله يا حسين عشان تعرف الفرق بين العدل والظلم.. الراس
الكبيرة بتاعتهم خالد الإسلامبولي شبهني بالتتار وجنكيز خان وإن
أنا ما بالتزمش بكتاب الله، أنا ما بالتزمش بكتاب الله.. بدمتكو أنا
كده.. طب أنا مافيش حد بيعشق صوت الشيخ رفعت قدى.. أنا
اللى شعبي بإحساسه الوطنى لقبني بالرئيس المؤمن، وكلكوا
عارفين أنا إيه اللي عملته للدين مقارنة باللى كان موجود في أيام
جمال - الله يرحمه بقى مش عايز أتكلم وأجيب في سيرة الأموات
لإنه الحقيقة جالى في المنام وهناني بنجاتي وأنا مش هاقدر أنسى
له الموقف الجميل ده. ماعلينا المهم بمناسبة حكاية الدين دى أنا
أذكر فيما أذكر أننى قلت مرة للدكتور البرى إن بيشغلنى كثيراً إن

كلمة الإسلام أصبحت مخيفة عند الناس، وإن الخمينى أساء إلى
الإسلام في الخارج، والجماعات اللي بتسمى نفسها الإسلامية
أساءت للإسلام في الداخل ومسئوليتنا نرسم صورة طيبة صحيحة
للإسلام وعايزين نجتمع كل أسبوع عشان نطلع بيان باسمي
للشباب المسلم والشباب المسيحي - كلهم أولادى - عشان أوضح
لهم خلاصة سياستي وتجاربي في الحياة وأربط المبادئ والقيم بما
جاء في الإسلام والمسيحية، هم بس زعلانين إن اللي أنا قلته
صح، ومافيش أى تناقض بينه وبين دولة العلم والإيمان اللي
دعيت لها. عموماً كل دولة هتسمعوا اخبارهم قريباً، عملاء دول
الرفض وبتوع الدقون والأرازل والملاحدة.

وأنا باعلن من هنا عن إنشاء محكمة عسكرية اسمها محكمة
التطهير لمحاسبة ومحاكمة كل من ينجرف عن الجبهة الوطنية
وسيحاكموا طبعاً محاكمات عادلة.. احنا ما بنتدخلش في القضاء
زى ما قلت وأحب أعلن عن خبر كويس بالنسبة للموقف
الخارجي، الحمد لله ربنا هيتوب علينا من قرب الصراع العربى
الإسرائيلى والحمد لله إنه هدى سر أخونا عرفات بتاع فلسطين
اللى غلبت أقول له يا ياسر الناس زهقت حروب وقرف وعايزة
تعيش وتنتستر وتاكل لقمتها بعرق جبينها، ما أخبيش عليكو

كان لابد من الانفتاح الاقتصادي... والحمد لله احنا مستمرين
وقريباً هتسمعوا أخبار كويسة عن توسيع دور القطاع الخاص
وتطهير القطاع العام اللي بقى تكية.. ومتخافوش كله ياكل
ويتبسط بس لو اشتغل، خلاص مش هيتكرر اللي كان بيحصل
أيام جمال، لله يرحمه دا كان زمان، تهريج زمان ومزادات
زمان، النهاردة المواقف متحددة، وأنا باقول ده للصحافة اللي
عندنا للأسف، يا إما سلبية يا إما من تحت لتحت بتحدف كلام، بلا
مسئولية إطلاقاً، أنا باحكي لكم، أصلى بانفس عن المعاناة بتاعتى،
أنا سبت كل حاجة، سبت الفتنة الطائفية ماشية، سبت طلبة
الجامعات يهوهوا، ويعملوا مظاهرات وصحف حائط وشتايم
وتصفوية وانهزامية وقالوا في محمد أنور السادات ما قال مالك
في الخمر وسبت ده كله.

لكن دلوقتي خلاص، فاض الكيل، الديمقراطية لها أنياب هتوجع
كل اللي يهز الاستقرار ولن أرحم، وأنا باقول للصحفيين اللي بره
واللى جوه كفاية بقى، تعبتونى وسوأتوا سمعة بلدكم، أنا
مابيهمنيش اللي بيتكلم في حاجة إنما ليه يسوأوا سمعة بلدهم؟ وأنا
قبل كده شلت ١٢٠ صحفى، ما وديتهمش بقى على مؤسسات
الدواجن زى ما حصل قبل كده ولاوديتهم الاستعلامات وما

عرفات اتصل بي من يومين وقال إنه وافق على إجراء مفاوضات
مع أمريكا وإسرائيل وبيطلب وساطتى في الموضوع، صحيح هو
طلب منى إن الموضوع يفضل سر لكن أنا ماخبيش حاجة على
شعبى، وقريب هيبقى فيه خطوات جادة عشان نخلص من الفيلم ده
ونسريح، وأنا قلت الكلام ده زمان... إن لو قدرنا تكون علاقتنا
بأمريكا أحسن من الحجم العادى يكون أحسن.. ليه؟ لأننى أنا
أؤمن أنه لا مصلحة لنا في عداوة دولة كبرى كأمرىكا إطلاقاً،
وأنا ماكنتش عايز أقول إن المؤامرة اللي تعرضت لها كانت تدبير
من الاتحاد السوفيتى، لكن أدبى قلت وياللا، خلى الأمور
تنضح.. وأمريكا هى اللي كشفت لى ده بالوثائق والمستندات، وأنا
فاكر لما جانى كيسنجر وعملنا النقاط الست حذرنى بس أنا
افنكرته بببالغ، وأنا دلوقتى شايف إن ربنا وفقنا في قرار السلام
وعايز أسأل... إرادة مين اللي كانت ورا هذا القرار غير إرادتنا
احنا، ثقة مين اللي كانت ورا هذا القرار غير ثقتنا احنا في نفسنا،
ما نخشى شىء، بتكلم مع كل مخلوق لأن احنا بنملك في أى وقت
نقول آه، ونقول لأ.. لمصلحة القضية والمصالح العام، والسنين
اللى حاربنا فيها كنا بنصرف من لحم الحى، ومافيش اللي بنقول
عليها في الفلاحين الخميرة، الخميرة خلصت رخرة وعشان كده

قطعتش عيهشم، أنا بس كان عقابى أدبى لأنه عيب، وأنا باقول لهم لموا نفسكم، ليه؟ لأن أنا في موقف محتاج لكل إنسان في البلد يقف معنا ويقف مع بلده..

وأنا باعلن عن تشكيل محكمة اسمها محكمة السلطة الرابعة. عشان تحل لنا المشكلة دي. وأنا باقول للناس. احنا مش على رجلين الروس زى حزب البعث السورى. احنا مانناش غير إرادتنا وغير أخلاق القرية، القرية بتدى مناعة، بتدى أصالة بتحمى الإنسان، الصلابة أساسها القرية، وأنا ماكنتش أقدر أخرج من المؤامرة دي سليماً معافى من غير أخلاق القرية يمكن اللى زاد أخلاق القرية عندى قوة هى الظروف اللى اتعرضت لها، المحنة، محنة التشريد والمعتقل زى ما قالوا في حكمة كبيرة جداً، لا يبنى الأمم العظيمة إلا الآلام العظيمة، كذلك لا يبنى الفرد من داخله بصلابة وقوة إلا الآلام العظيمة وأنا والحمد لله عشت العديد من صنوف الآلام طول حياتى.

أنا أذكر فيما أذكر. أول ما جيت القاهرة من القرية نزلت أشتري من البقال اللى قدام بيتنا، نزلت أشتري كبريت، في القرية عندنا مانقولش كبريت نقول علبة كسفرية قلت له هات علبة كسفرية، الأولاد الأرازل واقفين حوالىنا، هاجوا من الضحك على، البقال

قال ما عنديش كسفرية، أنا استغربت إيه الحكاية؟ قالوا ده اسمه وظللت مصرأ على أن اسمه كسفرية لغاية ما باع لى الراجل العلبة على إنها كسفرية برغم تهريجهم وضحكهم على. أنا باقول الحكاية دي عشان يعرف الكل إن أنا مابتهدش، كسفرية يعنى كسفرية، سلام يعنى سلام، انفتاح يعنى انفتاح، وأنا بافكر أنقل مقر العاصمة لميت أبو الكوم عشان نرسخ أخلاق القرية ونبعد عن أخلاق الإنحطاط والزحام، وأصدرت قرار بإلغاء العروض العسكرية خلاص وإلغاء الاحتفال بالسادس من أكتوبر مش خوف لا سمح الله وإنما لأن السباب اللى يبجى لك منه الريح سده واستريح.. وهاصرف علاوة للموظفين اسمها علاوة بركة إنك بخير.. وهاقف ضد أية محاولة لاستخدام الديمقراطية للعبث بمصلحة الوطن حتى لو اضطريت لتحويل مجلس الشعب إلى مجلس محلى ويبقى بالتعيين، وهاعمل استفتاء على كل ده خلال الأيام المقبلة. وأنا عارف إنكو توقفوا جنبى في أى قرار آخده عشان مصلحة مصر.

أنا طولت عليكم، لكن أنا كان لازم أحكى وأقول لكم كل اللى في قلبى، وعايزكو تعرفوا وتفهموا كويس قوى إن محمد أنور السادات رئيسكم المحبوب المنتخب اللى بتفدوه بأرواحكو وبقلوبكو

مش بيخاف من حد بيخاف من ربنا بس، وأختم خطابى بالدعوة إلى أن يتقهقر الحقد ليحل محله الحب فلا يمكن أبداً أن نعيش في مجتمع الحقد وإلى أن نقف صفاً واحداً في وجه كل من يحاول النيل من هذا الوطن. وأن تكون هذه المحاولة الأثمة هي الأخيرة بإذن الله عز وجل.

ربنا لا تزرغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نشرت في جريدة الدستور القاهرية

١٩٩٧

ستغضب أمي

"أمك ثم أمك ثم أمك"

ستغضب منى أمى كثيرا لو علمت أننى الذى قتلت
عصافيرها. لماذا أبداً كلامى بكذبة. لم يكن لأمى عصافير. كان
لها دجاج تربيته فى الشرفة، وكانت ستقتلنا جميعا- أنا وإخوتى
وأبى- لو وجدته ميتا.

ستغضب منى أمى كثيرا لو علمت أننى أنا الذى سرقت علبة
أساورها. لازلت مصرا على الكذب. لا تمتلك أمى علبة أساور
ولا تمتلك أساور أساسا، كل ما تمتلكه سلسلة ذهبية وخاتم فضى لم
تغيرهما ولم أرها يوما منذ كنت طفلا وحتى الآن وهى لا
ترتديهما.

ستغضب منى أمى كثيرا لو علمت أننى أضرب إخوتى .
كذبة سخيفة. فهى تعلم أننى أضربهم وتعلم أننى شخصا أضرب
كل يوم من أبى، ولا تملك. هى إلا أن تقول بصوت واهن من فوق
مقعدا المفضل على كنبه الصالة:

"بس يا ولد. بس يا بنت" عندما أضرب إخوتي، و"بالراحة يا محمود. حرام عليك" عندما يضربنى أبى.
ستغضب منى أمى كثيرا لو علمت أننى أسهر كل ليلة لأبكى فى
غرفتى.

يا لغبائى.. طبعا لن تغضب .. فليس لي غرفة خاصة .. ولأمتك
رفاهية السهر فأنا مجبر كل يوم على النوم مبكرا للاستيقاظ مبكرا
والذهاب الى المحرقة التي أعمل فيها لكي أكون كما يقولون رجلا
يعتمد عليه .. ليس لي إخوة أضربهم .. فأنا وحيد قليل أرخى
سدوله ..

أمى لن تغضب أبدا .. هذه هي الحقيقة أمى الآن راضية ..
وأنا أحسدها .. أمى ماتت منذ ثلاث سنوات .. يابختها.
أمى لم تمت منذ ثلاث سنوات .. يالغبائكم لأنكم صدقتموني ..
ليتني كان لي أم يوما ما كي أكتب عنها قصة تعجبكم.

القاهرة

١٩٩٦

كناس من الناس

" الآخرون .. ولاد كلب زبالة "

تعَب من لم وساخات الناس فجلس يللم نفسه محققا فى اللاشيىء. صديقہ الرصيف وبطاقة ائتمانہ المقشۃ وحلمہ "أن نكون زى بلاد برہ. نحترم نفسنا ونبطل نتف فى الشارع. عارف أنا لو تدينى ورق الدنيا وترابها ألمہ وأنا متكيف. إنما ألقى بيه متعنطرز ونافخ لى نفسه يتف فى الشارع وأنا أشيل خراه. أبقى متعنكن طول اليوم وعايز أحط المقشۃ دى فى"

إسمہ شعبان أو شحاتة أو عبده. لاشيىء يهم. المهم أنه يسأل الله ألا يأتى توزيعه فى الخدمة أمام شيراتون الذى "بقى له شهر بيكنس قصاده" ليه يا عمنا؟، أصل شيراتون دى مالوش صاحب. يعنى أنالو باكنس فى حارة فى الجيزة ولا بولاق هاستنفع من ده ربع جنيه ومن المعلم ده نص جنيه وتمشى.. إنما هنا طالع أخذ من الحاج شيراتون فلوس.. على النعمة يشمطونى لو عتبت سانتى جوہ" مخلف ياعمنا؟ "تسعة وحياتك.. وماتقوليش ليه.. الخلفة عزوة . ۵ من عيالى بيشتغلوا وكل واحد بييساعدنى.. والكبير

هيتجوز ويقعد معانا.. حكومة مين يابه اللي اسمع كلامها.. دول
منشفين ريقنا عشان بدل الصحة اللي طالبيته بقى لناسنين وهرينا
نفسنا إضرابات ولا حد عبرنا. تقول لى إسمع كلامها دول بيدونى
.. اجنيه ولولا فلوس عيالى وشغلانة مصنع الطوب اللي
باروحها فى يوم أجازتى وأخذ يومية ٤٠ اجنيه ماكنتش أقدر
أعيش".

بتشوف إيه فى التلفزيون؟ ساعات أشوف الشيخ الشعراوى الله
يرحمه.. إنما ماليش ثقل على السهر.. أنا بانام الساعة، ثمانية
ولاتسعة بالكثير.. عشان أقدر ألف طول النهار أنضف فى
وساخات شوارع مصر.. عمرى ما رحت السیما وباینى مش
هاروحها.. لعلمك أنا أعرف أقرأ وأكتب وكنت شاطر فى
المدرسة بس طلعت من ساته.. الظروف يابيه".

"أقول لك الحق.. أكثر حاجة تضايبنى إن الناس مابتراضاش تسلم
عليا.. متهايم لهم إنى مليون أمراض.. آه ياولاد الكلب.. ده انتو من
غيرى تعيشوا أوساخ وتموتوا أوساخ".

شارع سعد زغلول

١٩٩٩

لا حب تحت المطر

"انتظر جثة حبيبتك على النهر"

نهار آخر غائم وممطر.. برد تصطك له القلوب.. يغيريني
دفع السرير أن أنسى موعدنا لكن وجهك يجذبني بعنف محبب
فأنفض كسلى وأغادر فراشى لأصطدم خارج الغرفة المغلقة
بوحشية الصقيع.. أقحم رأسى تحت الحنفية لأغسله بماء شككت
أنه ثلج لفرط قسوته.. أتأنق مسرعا.. أنظر إلى وجهى المجهد فى
المرآة المشروخة.. كدت أكتب لكنى إبتسمت عندما خيل لى
وجهك جميلاحنونا يلمع فى النصف الآخر من المرآة.

تغلغت برودة الهواء فى مصاريني وأنا أنزل السلم جعان
ياكبدي.. وما إن خرجت من باب العمارة حتى تذكرت أن أمامى
نهاراً ممطراً لأجتازه.. كان الفضاء يتصبب ماء.. والسماء تبدو
متجهمة كالحة تعد بالمزيد من المطر.. والرعد يهدر محركا
الخوف والقلق.. وكان شارعنا الضيق يسبح فى الماء العكر
والطين يحيطه تاركا شريطا ضيقا لا تؤمن مزالقه.. إستجمعت
حذرى وأخذت قدمى تتحسس ما تبقى من أرض جافة مستنداً حيناً

الرمية وتلطخ ثياب زملائنا ميسورى الحال.. وكنا وقتها نمارس
الحقد الطبقي دون أن ندري.. كان أحدنا يسحب أحد هؤلاء
الأولاد إلى قرب بركة الماء مفتعلا حديثا ما.. وما إن يعطينا
الولد ظهره حتى تتهاى عليه الصواعق المائية تقذفها بأحجار ثقيلة
تطرش عليه فيملاً شعره ووجهه وثيابه بالماء القذر فيسب آبائنا
مهدداً إيانا بالناظر ونستلقى على ظهورنا من الضحك.. لست
أنسى ذات يوم ثقل الواجبات المدرسية. اخترت موضعاً زلقاً
بالطين وافتعل زحلقة مروعة فتبعثرت بحقيبتى على الماء حريصاً
على ترميغ أكبر قدر من ثيابي وكشاكيلى.. أدخل على المدرس
وسط ضحك الزملاء وقد استحلت مخلوقاً فذراً وأنا أبكى بحرقة
يسبقنى جعير محروق ولا يملك الأستاذ إلا أن يطيب خاطرى وأنا
أؤكد له أسفى على الواجب الذى سهرت عليه ليلة أمس فيعطينى
أجازة. أذهب إلى البيت وأغير ملابسى.. وأشكره فى أدب لا
نظير له.. وزملائى يتغامزون ويتلامزون ويلعنونى.

.....

فى عز المطر يعتذر الأغنياء عن مواعيدهم العاطفية خلال أسلاك
التليفون وهم قابعون تحت البطانيات الصوفية المشتعلة دفناً.. أما

إلى بعض الطوب حتى عبرت إلى الشارع الرئيسى كانت محطة
الأتوبيس مقفلة من الناس الذين هربوا إلى مدخل العمارات
القرية يختبئون من البلبل.. لم أجد مكاناً خالياً فوقفت تحت المطر
أنتظر الأتوبيس وأفكر فى رموشك الجميلة.

فى عز المطر يذهب أبناء الأغنياء بالعربات الفاخرة إلى مدراسهم
هازئين من الجو يستلقون على المقاعد الوثيرة بطونهم دافئة
بسندوتشات الجبنة الشيدر وترامس الكابتشينو والشاى الحليب..
وإبتسامات متحدية تملأ وجوههم المتوردة.. خروجى اليوم إليك
يذكرنى بنا نحن الفقراء أطفالاً عندما كنا نذهب إلى المدرسة فى
الصباحات الممطرة.. نمشى كالمجانين فى الشوارع حاملين
أحذيتنا فى أيدينا وحقائبنا المهترئة مليئة بالكتب وسندوتشات
الجبنة القريش مع بعض الخيار تتقل ظهورنا وأقدامنا تخوض فى
برك الماء المتسخ ونرش بعضنا بالماء.. نهزأ من أحد المارة
ينظر لنا بوجه متجهم خوفاً أن يصيبه بعض الماء ويقول لنا "مش
تخلوا بالكم من الجراثيم" نتمهزأ به فنقول بلهجة فلاحية ساخرة
"إوعى يا واد يا عيد من البلهارسيا ياوله.. إدى ظهرك للترعة"
فيضرب الرجل كفاً بكف لاعتناً التريبة الوسخة.. فى ساحة
المدرسة بركة ماء ضخمة تعطى فرصة لا تقاوم فى مسابقات

أنا فلا أملك إلا أن أحيب موعدك. ليس لأنى لا أملك تليفوناً ولكن لأنى لا أضيع فرصة للقائك حتى لو كانت فى الجحيم ذاته.

أقذف بنفسى فى الأتوبيس وسط الأجساد المتلاززة.. أتجاهل الإلتصاقات العنيفة مفترضا حسن النية تدفئنى الأنفاس الملتصقة بى لكنها تقربنى ويهرشنى شئى ما فى قدمى فأعجز عن بلوغه بيدي فأحاول ذلك بقدمى لكنها تقع على حذاء واقف بجوارى.. يزغزنى ببصره فأنسى الهرش وأبتسم. لست أدرى ما الذى جعلنى فى مثل هذا الموقف أتخيلنى وسط مروج خضر تجرى من حولها الأنهار أغنى لك بصوت ملؤه الحنان ولا خوف فيه أغنية فيروز الشهيرة (راجعين ياهوى راجعين) زال تخيلى تماما مع رائحة غير عاطفية للمرة أطلقها أحدهم مساهما فى زيادة دفاء الجو المحيط بنا.. إستنشقت الرائحة متمهلا ورجحت أنها ناتجة عن طبق فول بالبصل الحراق- وكأن الفقراء يأكلون غيره.. يقولون أن الفقراء لم يعد لهم عيش فى هذا البلد.. هل تصدقين ذلك.. أنا شخصا لا أصدق وإلا كيف عاش أجدادنا فى عهود المجاعة وعصور الجفاف وأزمنة قراقوش ومن على شاكلته.. لن أسترسل فى الحديث عن السياسة فى الأتوبيس لأننى أكره حديث السياسة فى الأماكن المزدحمة لأسباب أنت تعرفينها.

يصل الأتوبيس بعد لأى إلى الجامعة أحشر نفسى مع النازلين.. يصكنى الهواء البارد وتنهمر على جسدى رشقات المطر.. أعبر الشارع مسرعا حذراً.. أستشعر ثقلاً فى أنفى.. هى بشائر البرد دون ريب.. يعقد البرد معى دوماً معاهدة أزلية.. يزورنى مع تباشير الشتاء فيطبق على أنفاسى حتى بزوغ الربيع.. ولا مانع من زيارات متكررة بقية العام.. حسن.. لنقل فى رومانسية مفرطة.. ماذا يضير البرد وشمسك ستدفئى روحى عن قريب.

أخرج البطاقة الجامعية لموظف الأمن المتجهم دوماً.. أسير متلفتاً فى بلاهة.. هل أطمع أن تأتى مبكرة عن موعدك.. مبكرة بنصف ساعة.. لا أعتقد.. أتذكر أنك ستقطعين رحلة أقسى من التى قطعتها.. تأخذنى القشعريرة وأنا أتخيلك فى زحام الأتوبيس.. وأنا أتصور أتخيلك مع وحوش أعماها الشبق عن كل شئى.. وأنا أتصور الرياح المثلجة تعصف بجسدك الضئيل.. يمنعك حمل أوراقك من إدخال كفك فى جييبك طلباً لبعض الدفاء.. يسرى الصعيق فى عروقك.. والمطر يتساقط على وجهك النورانى.. ينتهك حرمانه ويحيل حمرة الأثيرة لدى الى شحوب برضه سألجه.. ليبتى كنت مظلة تطير فوقك دون أن تكلفى نفسك حتى عناء حملها تتلقف

عناك حبات المطر تشتها يميناً وشمالاً. أونسمة هواء دافئة تمنحك بعض الدفء فتسيرى فى إرتياح مسرعة حتى أراك.
يقطع حبل التمنى لدى مشكلة عويصة تستجد برؤيتى لمكان لقاءنا المنتظر.. مكان مكشوف لا ساتر به يدرأ عني هجمة المطر الذى لا يهدأ.. لوتوقعت ذلك لقلت لك نلتقى تحت القبة عند قاعة الاحترافات الكبرى نجلس عند بابها كما يفعل الباقون من عشاق الجامعة.. لكنك كنت سترفضين لا شك.. تتجنبنين دائماً أى تشابه مع قريناتك من البنات ذوات الملابس المتهتكة والماكياج الرخيص الكثيف.. يلزقن فى أجساد أصدقائهن ويضحكن متغنجات ثم يبكين بدموع وهمية.. ولا تحمر خدودهن إذا ما زحفت الأيادى نحو أيديهن أو حتى نحو أفخاذهن.. أما أنت فخلق آخر.. سكة ثانية.. ليس فيها إصطناع أو غنج و رخص.. تحافظين دائماً على مسافة ثابتة بيننا وترفضين دائماً أن نجلس.. تصرين على الوقوف لكى لا يفهمنا الناس خطأ كما تقولين.. كنت أتضايق بادئاً بسبب ما تعودت عليه مع الأخريات.. لكننى أصبحت أتبه فخرأ بعدها عندما أرى نظرتك المتوثبة عندما يزيد إقترابى منك عن الحد المألوف.. تملأ قلبى طمأنينة لا حد لها.. وتفتتح أمام عيني طرق آمنة لا نهائية لمستقبل مشرق نظيف لم أحلم به قبل رؤياك.

حسنا إذن سأحتمل كل هذا المطر لوحدى.. لا يهم.. عقارب الساعة تزحف ببطء نحو موعدا.. كأنما الصقيع أنقل حركتها فسارت ببطء حتى ثبت أقصرها عند تمام التاسعة بينما واصل الآخران حركتهما البطيئة مع تفاوت غير بعيد الأثر.. لم تصلى على غير عادتك فى الإنضباط أو المواعيد الإنجليزية كما كنت أسميك كلما عاتبنتى على تأخر دقيقة أو دقيقتين.

عقارب الساعة يواصل بطئها للعب بأعصابى.. فأقطع مللى بتذكر فيروز مجدداً وهى تغنى عن تلك الفتاة التى (نطرت) حبيبها بالصيف والشتاء.. إبتسمت لإنقلاب الآية وأنا أترنم (حبيبك بالصيف.. حبيبك بالشتاء).. المطر واصل عمله دون كلل ودون أن يعبأ لملابسى التى نفذ الماء منها إلى داخلياتى.. ملابسى الداخلية وليس داخليات جسمى بعد.. أواصل الغناء ممازحاً نفسى الأمانة بحبك (يجى هاك الولد من بيته العتيق.. وتقول له انظرنى وينظر عالطريق وتروح وتتساه ويدبل بالشتى).. أطرده خاطر الذبول بالشتاء من مخيلتى رغم مرور ربع ساعة على موعدا الأصيلى مطمئناً نفسى أن الذبول يقترن عادة بالجفاف والقحولة- آتية من قاحل- أما أنا فكيف أدبل وملابسى لو عصرت لمأت كوزاً كبيراً بالماء حتى الشماله.

تشاغلتن عن حالى بتذكر الخناقة التى اشعلتيا مع أخيك الأكبر حول مصطفى كامل.. أسألك بجديفة مصطفى كامل اللى بيغنى فتظريين لى فى دهشة "مصطفى كامل.. الزعيم الوطنى الكبير".. أستعرب فى داخلى.. وأطلب تفصيلاً فتحكين كيف سخر من فيلم مصطفى كامل الذى عرضه التلفزيون مؤخراً وكيف انتقلت سخريته من أداء الممثلين إلى مصطفى كامل وكيف قال فى تبجح- كما وصفته- "عمل ايه للبلاد سى مصطفى ده.. كلهم كدايين بياعين هوا" وكيف دخلتى فيه شمالاً مذكرة بدور مصطفى كامل الوطنى.. مصمص شفنيه إستهزاءً "أهوه كلام مدرسين التاريخ ده هوه اللى واكل دماغكم" لم تسكتى.. اندفعتى فى حماس "على الأقل عمل حاجة لبلاده.. أحسن منك مالکش غير القعاد على القهوة".. شتمك هاماً بضربك لولا تدخل أخيك الأكبر.. وانفلقتى أنتى بالبكاء على مصطفى كامل وقرأت له الفاتحة.. تتزاحم كلمات الإعجاب والحب والفرحة على لسانى فأخرج منها ما تيسر وما لا يتجاوز الحدود.. أسألك عن مصطفى كامل فتؤكدين حبك له منذ قرأت عنه فى المدرسة.. وكيف أنه مات شاباً وهو يضحى من أجل وطنه.. احسده وتقفز إلى خيالى صورتنى وأنا أقف فى حشد هائل من الناس بساحة الأزهر يشتلون حماسة ووطنية وأنا

محمول على الأكتاف أزرق بأعلى صوتى " لقد خلقنا الله أحراراً ولن نورث بعد اليوم.. مصر والسودان لنا وإنجلترا أن إمكانا.. تعلن شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية" يختلط لدى حابل الوطنيين بنابلهم.. المهم أننى كنت أهتف لمصر وأنت تهتفين باسمى خلف مشربية.. بعد لحظات رأيتك وأنت تقودين مظاهرة لغوانى يحتججه وأنا واقف أقرب جمعنه.. ثم رأيتنى فى قناة الجزيرة وأنا أخطب فى برنامج الاتجاه المعاكس ضد معاهدة كامب ديفيد واتفاقية أوسلو ووادي عربة وأنت تشاهدنينى فى الليفينج روم وأنت حامل فتزغردين وتهتفين لى وتدعين الله أن يحفظنى ذخراً لمصر.. أعود من خيالاتى لأنظر للناس يمشون حولنا فاسأل نفسى فى فخر كم من هؤلاء الأغنام السائبة يتذكر مصطفى كامل أو حتى يعرف عنه شيئاً.. لربما لو سألت شابا من هؤلاء عن مصطفى كامل لقال لك : آه باحب له أغنية السلام أمانه... ترى ياقمري هل يتحدث أحد من العاشقين فى دنيانا عن مصطفى كامل وما فعله لمصر مثل ما فعل اسم النبى حارسنا وصايننا.. ربنا يخلينا لبعض.

مع تمام التاسعة والنصف أعلن تشبثى بحبك حتى النهاية.. لكننى أتساءل بالبحاح عن سر تأخرك.. تتزاحم فى مخيلتى إحتتمالات

أنها عندما تسمع أنا لك على طول تفكر فيك .. كم مرة لمست
يديك قصدا بدعوى أنها صدفة.

كم مرة .. دائما أنت

كم مرة .. دائما أنت

كم مرة .. دائما أنت

أنت المتفرد بصبابتك المتوحد بعنائك المستوحش ليلا المهول
صباحا المليئ شوقا القريب دموعا المليئ وجدا ... ووهما.

ما هذا الكلام السخيف .. لماذا تركت الشيطان اللعين يستبد بك ..
لماذا اندفعت وراء خطيئة الغضب ورحلت تتأثر لنفسك منها لمجرد
أنها تأخرت عليك فرحت تهلهل قصة غرامكما الجميلة وتنسى كل
لحظة حلوة عشتاهما سويا ولا تترى في عينيها الحبيبتين إلا القذى
.. أف لك.

"يخرب بيت أمك ياله .. إيه اللي موقفك هنا في الطل"

فجأة قفز صوت حسين دردير زميلنا في الكلية ليوقف صراع
الغرام والكرامة في داخلي، دهمني صوته أولا قبل أن يدخل هو
بسلامته الى الكادر يسعى مصدرا للكون ابتسامه غنيّة، لم يكن
ينقصني إلاه، أي صباح عجيب الشأن هذا، ربنا يعديه على خير..

المرض فأطردهما - صحتك حلوة والحمد لله - واحتمالات
ممانعة الأهل فأستبعدها - لماذا سيمانعون في هذا اليوم بالذات -
واحتمالات زحمة المواصلات فأنفيتها - المسافة من التونسي الى
الجامعة لاتتجاوز بأي حال من الأحوال الساعة هذا لو كنت ماشية
فما بالك بالأتوبيس الذي يأخذها في ربع ساعة ونيف.

.. مع حلول العاشرة إلا الربع بدأت الشكوك تتور في نفسي
تلومني وتشد أذني لأنني أرفض دائما أن أصون كرامتي من قبل
حبي، تقول لي نفسي اللوامة: كم مرة في مشوارك العاطفي
الدامي معها ضبطتها متلبسة بانتظارك، ولا مرة .. دائما أنت الذي
تترقب حتى توجعك رقبتك، دائما أنت الذي تكتب لها قصائد
الغرام والحب والشوق .. كم مرة في مشوارك العاطفي الدامي
معها ضبطتها متلبسة بكتابة قصيدة فيك .. قصيدة إيه .. قل متى
كتبت ولو بيتا من دور واحد. كم مرة حدثتك عن أحلامها
بمستقبلكما سويا .. كم مرة سألتك عن الأسماء التي ستطلقها على
أطفالكما .. كم مرة تخيلت معك شكلا لعش العصفورة الذي
سيجمعكما .. كم مرة قالت لك أن شعرك شكله حلو اليوم .. كم
مرة قالت لك أن في عينيك حزنا يأسر قلبها .. كم مرة قالت لك

أنا.. أليس كذلك.. مالذي يحدث لي .. هل أنا الآن أتكلم أم أستمع
أم أطم على خدودي ..
" فاكسر ياله أيام الكلية .. ماوحشتكش .. فاكسر البت أميرة اللي
كنت بتحبيها .. يابن الذين .. عمري ماشفت حد حصل له اللي
حصل لك .. لحد دلوقتي ماعدتش عليا حكاية زي حكايتك ..
تديك الصابونة يوم ماتطلع النتيجة .. قعدت تعمل لها في
ملخصات ومذكرات لحد ماطلعت الثانية على الدفعة زيك بالضبط
بنفس تقديرك ودرجاتك .. زي ماتكونوا شاخين في بق بعض
وبعدين شاخين في ورقة الإجابة سوا .. عمرها ماحصلت دي ..
فاكر ياعيني لما جيت الكلية جري شاييل جرنان الجمهورية عشان
توريها صوركو اللي نزلت مع نتيجة أوائل كليات الجامعة .. إيه
ياله انت فقدت الذاكرة ولا إيه .. فاكسر لما لقيتها بتوزع
شوكلاتة خطوبتها على ابن خالتها سعيد .. فاكسر لما قلنا لك لو
عيطت هنضربك .. فاكسر لما جريت على السبورة بتاعة السكشن
وكتبت أغنية حبيبي سكر مر طعم الهوى .. فاكسر لما دخلت عليك
السكشن قرت اللي انت كتبتة وادتك حنة شكولاتة .. يخرب بيت
أهلك ياله .. كنت فاكرك مش هتقوم منها .. بس طلعت راجل

لم أجد ماأقوله له سوى همهمات لامعنى لها لم تفلح في جعله
يخرس فمه .. عاجلني بطعناته واحدة تلو الأخرى دون أن يدع
لي فرصة لما هو أكثر من الهمهمات " إيه اللي مبهدلك كده ياله
.. أمال إيه اللي بيقولوه إن حالك اتعدل وبقيت صحفي قد الدنيا ..
يخرب بيتك .. ثلاث سنين ماشفتكش .. مش تبقى تسأل علينا ياله
.. إيه اللي رجعت الكلية تاني .. جاي تطلع شهادة م الكلية ولا
تعمل حوار مع دكتور من الدكاترة .. ماتعمل حوار مع أخوك
حبيبك .. مانا برضه معيد ومسيرى هابقي دكتور ولا أنا مانفعلش
.. ماشي ياعم براحتك .. إنت عامل إيه دلوقتي "
تبدلت الأرض غير الأرض والسماوات والبنائيات وحبات المطر
وبلوزات البنات وأوراق الشجر وطين الشوارع .. تفاصيل عادت
إلى الذاكرة فجأة لتتزامن مع تفاصيل أخرى قديمة كانت هي التي
تتصدر واجهة الذاكرة .. وجه حسين دردير اختفى وحلت مكانه
علامة استفهام .. هاهي أراها جيدا .. حتى بأمارة النقطة التي
أسفلها .. غريبة هل لازلت واقفا في مكاني أستمع لابن الوسخة ..
إذن من هذا الذي يذرع الجامعة جاريا باكيا .. ألا يشبهني .. إنه

يالاه ولو إنك ساعات بتحن للخولنة وتكتب عنها في العمود
بتاعك.. دي ماتستا هلس اللي زيك .. انت عرفت إنها اتطلقت ولا
لا .. أهى دلوقتي حتة مذيعة معفنة في صوت العرب كل اللي
بتعمله تقول كنتم مع وموعدكم الآن مع .. ده انت أمك داعيالك ..
شوف ربنا كرمك إزاي .. ييه ياله مالك .. انت مبهدل نفسك كده
ليه .. هدمك مبلولة كده ليه .. إنت كنت واقف في المطرة".

شارع سعد زغلول

٢٠٠١

وجه في السماء

"اللي يبص لفوق يتعب"

كم أحب الكتابة فى ضوء القمر .. دافقة تجيئ الكلمات تحت
ضوئه. كأنه يمدك بقوة خاصة أو ينفث فى كلماتك شحنا فريدا
يشعل الحياة فى ما تكتبه. عزمت اليوم على الكتابة.. كنت
أستبشر بالليالى المقمرة الخالية من السحب.رتبت أفكارى.. تخيلت
أحداث قصة طويلة.. جهزت أقلامى وأوراقى.. أخذت ملاءة
قديمة واتجهت نحو النهر.. ستكون قصة فريدة تلك التى تكتب
على شاطئ النيل وتحت ضوء القمر ستبز كل ما كتب السابقين.
فرشت ملاءتى.. رتبت جلستى ثم رتبت أفكارى.. نزعنا غطاء
القلم جربته.. كتبت رقم (١) فى مطلع الصفحة.. سميت الله..
نظرت إلى النهر.. وضعت يدي على مطلع الصفحة الناصعة..
بدأت فى الكتابة (تفنى الذكريات ولا يدوم إلا وجهها المنير..)
هممت أن أواصل لكن الصفحة أظلمت فجأة.. كذلك المكان من
حولى.. رفعت بصرى إلى السماء.. لم أجد القمر.. كان قد اختفى
خلف سحب داكنة لا أدرى من أين جاءت.

ضربت القلم فى صفحة الاوراق مغتاظا.. رفعت نظرى مرة
ثانية.. تأملت تشكيل السحب حانقا.. صعقت.. خيل إلى لوهلة
أنها انتظمت على هيئة وجه مختلط الملامح تطل منه ابتسامة
ساحرة متحدية ولا يطل القمر من خلفه.

دققت النظر أكثر من مرة.. تثبتت من ظني.. تسلل الخوف إلى داخلي.. جمعت أوراقى بسرعة.. نظرت حولى فى فزع.. طويت الملاءة وغادرت المكان مسرعا.. لكننى تذكرت أننى نسيت قلمى عدت مسرعا لأخذه.. بحثت عنه فى كل مكان فلم أجده.. نظرت إلى السماء.. كانت السحب قد اختفت فجأة.. فكرت فى العودة إلى الكتابة.. لكننى كنت قد فقدت قلمى.. استدرت عاندا.. ومن داخل النهر انبعث صوت من مركب تحمل تابوت ميت: وأهله يرحلون إلى الضفة الأخرى حيث المقابر..
جاءنى الصوت هادرا:

(يا دايم.. أنت الدايم.. ولا دايم إلا الله)
أسرعت فى الرحيل.. غامت السماء ثانية.. هممت أن أنظر إليها.. لكن قلبى أنقبض.. فلم أفعل..
يادايم.. أنت الدايم.. ولادايم إلا الله

أوراق سرية تنشر للمرة الأولى والأخيرة من ملفات التحقيق الذي تم إيداعه

في غياهب النسيان

رأس البر

١٩٩٤

ليلة اغتصاب مادلين أولبرايت!

— فقرات من الصفحة التي تم إنقاذها من مذكرات كبير

مساعدى سموه السيد نصير ساويرس:

"... لست أدري أي عفريت ذلك الذي ركب سموه في ذلك اليوم الأغبى، أقسم بكل المقدسات أنني لو كنت أعرف أن الأمور ستصل إلى ما وصلت إليه لما قمت بإتمام ذلك اللقاء من أصله أيا كان الثمن الذي كنت سأدفعه، لكنني قد اعتذرت للأمريكان بأن وعكة صحية طارئة أصابت سموه، حتى لو كنت متأكدا أن لديهم أدق التفاصيل عن حالته الصحية لحظة بلحظة، لكنني كان لابد ألا أسمح لذلك اللقاء أن يتم.

الآن وبعد أن حدث ما حدث أتعجب كيف لم أتوقع أن شيئا غير طبيعى سوف يحدث، كيف وأنا الذي لاحظت أن سموه منذ أن عرف بموعد اللقاء المرتقب مع مادلين قبل أسبوع كامل من اللقاء أصبح شخصا آخر غير الذي أعرفه. كيف تعاملت مع كل تصرفاته المريية بشكل عادى، لماذا اعتبرت أنه من الطبيعى أن

بفبركة الصورة، وبحماس شديد شرح لي سموه كيف اكتشف تلك الفبركة بعد طول تمنع، حيث اكتشف أن هناك نتوء بارزا فوق ركبة مادلين كان يراه دائما في صورها وكان يعتبره محببا الى نفسه، لكنه اكتشف عدم وجوده في صورة الباباراتزي التي دفع ثمنها غاليا وفقدت بسبب عدم احتوائها على النتوء جزءا كبيرا من سيكس أبيها. وقتها تعاملت أجهزتنا مع الموقف بما يستحقه وأخذت حق بلادنا من المصور اللعين الذي مات في حادث سيارة في نفس النفق الذي استشهدت فيه المرحومة ديانا وهو مأسر عليه سموه الذي هدا نفسا عندما قام واحد من أبرز خبراء التصوير الفوتوغرافي وخدع الجرافيك بعد عمليات فنية معقدة تكلفت مبالغ طائلة بإضافة النتوء الى الصورة كحل مسكن الى حين حضور مادلين نفسها بنتوتها ذات نفسه الى بلادنا.

الذكريات تنداعى إلى ذهني الآن وتكاد تقتلني غما. كيف غاب عن ذهني ذلك اليوم الذي كاد سموه يبكي فيه بين يدي وهو يقول لي بتأثر بالغ" أفخاذ هذه السيدة ستقتلني يانصير.. منذ أن تولت منصبها في الأمم المتحدة وعندما كنت أراها في نشرات الأخبار كنت أقول لنفسي مستفزا مابال هذه السيدة الحيزبون تفخر بلحمها الجملي المتجلد .. لماذا لاتستر نفسها وتستر سمعة بلادها التي

يقوم بتكليف مسئولى التلفزة في البلاد بإعداد شريط فيديو كليب مصور لجميع اللقطات التي ظهرت فيها أفخاذ السيدة مادلين أثناء لقاءاتها الرسمية منذ أيام عملها في الأمم المتحدة وحتى آخر لقاء مداع لها عبر وكالات الأنباء عند زيارتها لجيراننا.

كيف تعاملت بشكل طبيعي مع قيامه بإرسال طائرة خاصة الى فرنسا لإحضار واحد من أشهر مصوري من يطلق عليهم الباباراتزي، والذي يقولون أنه هو الذي التقط أشهر الصور الغرامية للفقيد ديانا ودودي، وقام سيادته بدفع مبالغ طائلة له مقابل أن يحضر له صورة عارية أو شبه عارية أو حتى بقميص النوم لمادلين، ولم يكذب الرجل خيرا فأحضر له صورة لها وهي ترتدي مايسمونه لدينا في الإسكندرية بالشلحة أو الكومبيليزون، وقتها ظننتها نوعا من دعابات سموه الثقيلة خاصة عندما أمر سموه بتكبير الصورة بحجم يقارب حجم شاشة السينما وقام بتثبيتها على حامل إعلاني مواجه لنافذة غرفة نومه المفضلة لديه في قصره المفضل لديه، لكي يطل على الصورة كل مساء عندما يستيقظ وكل صباح قبل أن ينام. أذكر يومها أنني أصبت بذهول عندما استدعاني سموه بجدية شديدة ألقفتني وقال لي أنه يطلب من المخابرات أن تقوم بتصفية الباباراتزي اللعين الذي خدعه وقاد

لا ينبغي أن تذكر إلا بكل خير .. ظل هذا موقفي عدة سنوات حتى جاء اليوم الذي اكتشفت فيه كم كان مأعقده جهلا فادحا مني .. وكيف أن كل ما كنت أدعيه من علم بالنسوان اتضح أنه قبض الريح .. وكأنني لم أدخل دنيا قبل أن أراها .. كان لقاء سريعا على هامش زيارتي الأولى للمشاركة في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة .. لم تكن هي التي تنصدر اللقاء .. كانت تجلس إلى جوار وزير خارجية بلادها .. كنت أتخاشى النظر إليها لكي لا أنظر إليها نظرة احتقار قد تؤثر على مصالح بلادنا .. وربما كان حرصي على منع نفسي من النظر إليها هو الذي جعل عيني تنزلق إلى حيث انحسرت جيبتها الضيقة عن بواطن فخذيها .. لحظتها أضاء أمامي مابين المشرق والمغرب واندفع شلال من الدماء الحارة في عروقي التي حسبتها قد وهنت .. كانت ترطن وغيرها يرطن والمترجمون يرطنون وأنا أتردى في هوة سحيقة لاقرار لها .. أحاول أن أكبح جماح رغبتي في إمعان النظر إليها بل إن شئت الحق في تقبيل فخذيها المستحيلتين .. بنت الصليبية كأنها أدركت حالي فأخذت تضع رجلا على رجل ليتبدى لي ذلك التواء الجبار وكأنه مارد من الجن خرج من قممه ليضعني مكانه

ويتملكني سحره .. كانت كلما اعتدلت في جاستها انقلبت بداخلي الدنيا

عندما أسأل نفسي الآن: بعد كل مارأيته وسمعته لماذا إذن لم تتوقع ماحدث، وأرد على نفسي بصراحة بعيدا عما كتبتة قبل قليل محاولا إعطاء نفسي حجما غير موجود، حتى لو كنت قد توقعت ماكنت سأقدر على تغيير شئى، ثم إنني بصراحة وحياء أولادي لم أكن أتوقع ماحدث، ظننتها نزوة عابرة ستمر كغيرها. لكنني لم أدرك أن ياس سموه من وصالها سيدفعه إلى فعل ما فعله.

حكاية الوصال هذه الأخرى قصة لا يصدقها عقل. ذات ليلة غرباء سابقة لما حدث أرسل سموه في طلبي ليسألني عن أحد يعرف شيئا عن دستور بلادنا، قلبنا القصر بمن فيه ومافيه فلم نجد نسخة من دستورنا الذي لم أر نسخة منه منذ أن جاءتنا أول نسخة منه قبل اربعين عاما، أرسلنا في طلب عميد كلية القانون لكننا اكتشفنا أنه أستاذ أمريكي اندهش عندما عرف أن لدينا دستورا وأقسم أنه يسمع بهذا الكلام للمرة الأولى، بعد لأي اقترحت حلا صعبا لإنقاذ الموقف، قمنا بالإفراج لمدة محدودة عن زعيم المعارضة القابع في الحبس الإنفرادي منذ ثلاثين عاما ونيف، ذلك الجعجاج الذي يستزعم حزب الحركة الدستورية المحظور كاد يأخذ حياتي معه

الكثيرون حتى الآن عن سر اختفائه المفاجئ — لم يمك عليه لسانه ويتق الله في أولاده بل قال لسموه أن ماتم نشره ليس سوى تخريفة صحفية وأن مادلين متزوجة وأم أيضا وأنه شاهد بنفسه زوجها وهو يقبلها في عشاء عمل في واشنطن، وحتى هذا الجزء من كلام وزير الخارجية لم يكن هناك مشكلة بعد. المشكلة حدثت عندما اقترح سموه على صديقنا الوزير المرحوم أن يرسله للتفاوض مع زوج مادلين لكي يطلقها طلقه بائنة مقابل أي مبلغ من المال يطلبه أيا كان هذا المبلغ، عندها وقبل أن يفكر حتى في رد مناسب انتابت الوزير المرحوم حالة من الغضب الجنوني وأخذ يصرخ في وجه سموه " أنا لست قوادا .. ابحت عن غيري لهذه المهمة" وكانت تلك آخر كلماته قبل أن يختفي أو يُختفى بمعنى أصح.

لم ييأس سموه بعدها بل أخذ يتقرب إلى السفير الأمريكي في حركات تزلف مفضوحة لم تفت على خبث السفير الذي اتخذها فرصة لابتزاز سموه ماديا مقابل وعود ببذل أقصى الجهود ناقلا لسموه معلومات مفبركة عن أن مادلين تكره زوجها وتعيش أزمة عاطفية حادة ناسبا إليها كلاما لأساس له من الصحة عن رأيها في رجولة سموه وفحولة سموه ووسامة سموه. جمع السفير

بسبب اقتراحي للإفراج عنه لسؤاله عن الدستور باعتباره الوحيد الموجود في البلاد الذي يمتلك معرفة أكيدة به، كان تتابع الأحداث قد أنساني سؤال سموه عما يريد معرفته من ذلك الحقيق، لم أكن أتوقع أبدا أن سموه يريد أن يسأل أي شخص لديه فكرة عن الدستور حول ما إذا كان الدستور الحالي يجيز لسموه الزواج من أجنبية لكي يتم تغييره إذا كان لايجيز، لم يفوت الوغد المعارض الفرصة لحرق دم سموه حيث سد أمامه منفذا كان يرنو إليه وأسمعه كلمتين بايخين، دون أن يعلم بأن سموه لا يابيه بمثل هذه السفساسف، فقبل أن يعود المعارض الى سجنه كان الدستور قد تغير بوصفه كان العقبة الكئود التي تقف أمام استعدادات سموه لطلب يد مادلين من الرئيس الأمريكي الذي كان من الممكن أن يخرج سموه بذكر مسألة الدستور هذه.

كان سموه قد قرر أخذ هذه الخطوة الجريئة بعد أن قرأ في صحيفة عربية صفراء أو قرأوا له بمعنى أصح أن مادلين اولبرايت لازالت أنسة حتى الآن، فهاج هيجانه وقرر ألا ينقضى الليل إلا وقد حاز وصالها، واستدعى وزير خارجيتنا رحمه الله ليطلب منه تحديد موعد رسمي مع الأمريكان لزيارة بلادهم وطلب يد مادلين. لكن وزير الخارجية المسكين — الذي يتساءل

الملعون من وراء هذه الأكاذيب مبالغ طائلة قبل أن يفاجئ سموه بأن قراراً صدر بنقله لسكون سفيرا لأمريكا في تل أبيب وواعدا سموه المصدوم بمواصلة مساعيه كرَسُول غرام بين الإثنين من خلال موقعه الجديد، بل وعرض تدبير لقاء سري بين الإثنين في فندق الملك ديفيد في القدس، وصدق سموه الأمر وأبدى موافقته ثم سافر السفير الملعون ومن ساعتها لاحس ولاخبر.

منذ ذلك الوقت دخل سيادته في اكتئاب حاد لم تغلح كل المحاولات التي بذلها جميع مسئولى الدولة في محاولة التخفيف منه، ووصل الأمر بسموه ذات مرة إلى استدعاء وزير البحث العلمي والأدبي في البلاد ليطلب منه إجراء اتصالات مع أرقى الجهات العلمية بالخارج لبحث استنساخ نسخة طبيعية من مادلين، استمع إليه الرجل العاقل في صمت ووعده بكل خير، وسافر إلى الخارج ولم يعد إلى الآن.

منذ ذلك الوقت لم أر سموه مبتهجا إلا عندما أخبرته بنبأ الزيارة المفاجئة لمادلين الينا بعد توليها منصبها الجديد، انتابه في البدء تشنج ظاهر ثم كست الفرحة وجهه، وظل في حالة غير طبيعية حتى يوم وصولها الذي كان يوما له مابعد، كان في أسوأ حالاته منذ الصباح الباكر الذي أيقظنا فيه قبل شروق الشمس لنأتي إليه

قائلا لنا أنه لم ينم طيلة الليل، كان عصبيا بطريقة غير عادية، عندما انفتح باب الطائرة وأطلت مادلين بفخذيها منه تخشبت ملامح سموه تخشبا أثار قلق الجميع ولم ينفك تخشبه إلا عندما فاجأنا بأخذه لها بالأحضان في حركة فاجأت الجميع وقطعت البث المباشر للتلفزيون، ولولا تدخلى لتخفيف التوتر بمداعبات لم أعد أنكرها من فرط سخافتها وكونها هراء لاعمى له لكن الموقف كان يحتاجها لتضحك مادلين في عصبية ويمر الموقف بسلام دون أن نعلم أن الأمور ستذهب إلى أبعد مدى لها وأن ماحدث سيحدث".

— جزء من محضر جلسة لمادلين أولبرايت مع طبيبيها النفسى فى كليفلاند (نشرته صحيفة ذي صن البريطانية بعد أن اشترته بمبلغ خرافي من الطبيب وأثار نشره أزمة دبلوماسية حادة بين أمريكا وبريطانيا .. تمت ترجمته لضمه إلى أوراق التحقيق بعد حذف كل أسماء الأعضاء والتعبيرات الجنسية الصريحة واستبدال الشتائم بمرادفات كالتى تظهر فى ترجمة الأفلام الأجنبية .. مع خالص الشكر لمعامل أنيس عبيد لعونها):

" ... فعلها الحقير ابن السافلة.. عليه اللعنة .. فعلها معي أنا، أنا التي لم يجرؤ أعتى رجال الأرض على الإمساك بنتوئي لاغصبا عني ولابمزاجي، ذلك الجلف العربي عليه اللعنة، كم كنت مخطئة عندما لم أستجب لتحذيرات سفيرنا في تل أبيب الذي يعرف ذلك الوغد جيدا والذي نصحني بالأأ أظهر فخذي خلال المقابلة معه، سخرت مما قاله لي حول هيام الجلف العربي بي، قلت للسفير ولطاقم عملي أن إظهار فخذي بالشكل الذي تعودت عليه هو جزء لايتجزأ من السيادة الأمريكية التي تعري ماشاءت وتغطي على من شاءت، وأنه معنى سياسي مهم أن يصل جيدا إلى القوى الرجعية في العالم العربي ناهيك عن كونه طريقة في الحياة تعودت عليها منذ سنوات المراهقة. أوه ياللهي، تسألني ماذا حدث، حتى الآن لم أستوعب جيدا ماذا حدث، لم أكن أتصور ولازلت لاأتصور كيف فقد ذلك الولد المطيع لنا دائما عقله بمجرد أن وضعت رجلا على رجل أمامه.. بالطبع كان ينبغي أن أتوجس شرا منذ اللحظة التي احتضنني فيها مندفعا ومستثارا، لكنني قلت لنفسي أن سماحي بقليل من التحرش سيسهل لي مهمة الحصول على قبول الطلبات العديدة الصعبة التي كلفت بحملها إلى المنطقة، ثم لأخفيك أن مافعله وقتها فور نزولي من سلم الطائرة داعب

أنوئتي وأعادني إلى أيام الجامعة عندما كنت أعشق ممارسة الجنس الفموي أسفل سلاام سكن الطالبات، وأقسم لك أنه لولا حرارة الجو الرهيبية لكان ذلك الحضن الشره قد أوصلني إلى الأورجازم. عندما بدأنا المحادثات الثنائية لاحظت أنهم وضعوا لنا كراسي غريبة الشأن جعل الجلوس عليها مسألة تغطية ملابسنا الداخلية أمرا صعبا، لكنني لم أمانع ولم أظن أن في الأمر شيئا سوى المصادفة، منذ أن جلسنا سويا كانت عيناه كجمرتين ملتهبتين تسكنان فخذي وماحولهما، قلت لنفسي ومايضير من النظر، دعه ينظر دعه يمر، لكن الفأر بدأ يلعب في عبي عندما قام بإلقاء قلم على الأرض ونزل لإلتقاطه أكثر من مرة، قررت أن أعتدل في جلستي وأضع رجلا على رجل لكن فعل ذلك كان يتطلب مني أن أباعد بين قدمي أكثر، فجأة ودونما سابق إنذار وجدت ذلك الوغد العربي يقفز ليحتضن فخذي بعنف محاولا تقبيلهما وهو يجهش بالبكاء ويصرخ تزوجيني يامادلين تزوجيني، تجمدت أنا ومن حولي من الجانبين ذهولا ورعبا، في ثوان كان قد أشار بيده ليدخل حراسه محاولين إخلاء القاعة قسرا بينما هو يقوم بـ ... أوه ، ماي جود ، جيسس كرايزد، أي كانت بيليف وات هاييند".

— ملحوظة وجدت على هامش أوراق التحقيق بخط يد الصحفي الأمريكي البارز هيرش سيمور الذي تفرغ أكثر من عام محاولاً إنجاز كتاب عن الموضوع دون جدوى:

"يبدو أن أحداً لن يعرف ما الذي حدث لفترة طويلة قادمة، فالشاهد الرئيسي في القضية نصير ساويرس وهو الوحيد الذي كان حاضراً من الطرف العربي وافته المنية فجأة، والمسئولون الأمريكيون ممنوعون بحكم القانون من التحدث في أي تفاصيل خصوصاً أن سموه لازال في كرسي الحكم بعد أن قام بتعيين رئيس الحزب الدستوري المعارض رئيساً للوزراء بعد إخراجه من السجن بناء على طلب أمريكي. وبالتأكيد في يوم من الأيام ستوضح تفاصيل ما حدث، على الأقل بعد ٣٠ عاماً عندما تفرغ الخارجية الأمريكية والمخابرات المركزية الأمريكية عن وثائق المرحلة فنعرف بالضبط كيف تم اغتصاب مادلين، وهل مات كبير مساعدي سموه نصير ساويرس غيلة وغدراً أم إثر تناول جرعة زائدة من ماء الطرشي كما أعلنت الدوائر الرسمية لسموه وما الذي حصلت عليه مادلين أولاً والولايات المتحدة الأمريكية ثانياً لكي تترك أمراً خطيراً مثل هذا يمر بسلام".

بنت الحلال

"حبّ المرة (نُقط)

(نُقط) المرة تحبك"

كنت ولا زلت أرتكب الأخطاء بمحض إرادتى.. أندم حيناً ثم أغرق فى قرار التوبة لتتلقفنى موجة الخطأ من جديد، وهكذا دواليك.. وكان ثمة ذكريات.. سحرها كان يغلق الباب دائماً فى وجه الذكريات المرة.. لست أذكر متى ولد فى واقعى طيفها الخلاب ولكن ما أذكره أنه كان ولا يزال وسيظل حدثاً بالغ الروعة والجمال. يتدفق السحر من عينيها المسالمتين تدفق السيل العرم فيذهب زبد اليأس جفاءً ويمكث حبها فى أرضى البور ينفعها ويحييها ثم يميتها صباية ثم يميتها عشقاً وهكذا دواليك.

منذ أن تشبث قلبى الغريق بأهدابها الطاهرة كانت ثمة مسافات وحواجز تفصل بينى وبينها وكانت تلك المسافات والحواجز كثيرة على ما أذكر، لكنها كانت تزول وتختفى تماماً تحت ضغط قوة قاهرة أسلمت لها خطاى.. ولكنى ظلت مصمماً على ألا أعبر الحاجز الأكبر أبداً.

صحوت يوماً وفي خيالي أصداء حلم مبهر تزلزل كياني له طويلاً.. حلمت أنى أركب حصاناً أبلقاً - هكذا يحلو لي أن أصفه برغم أنني لا أعرف معنى أن يكون الحصان أبلقاً ولا أعتقد أنني سأتعرف على حصان أبلق لو قدر لي أن أمر إلى جواره - كان حصاناً جماله يخطف الأنفاس له غرة يرتسم عليها الأمل وله ذيل عملاق كفيل بطرد ذباب المخاوف أولاً بأول - لاتسألني عن الشيء الذي يجعلني متأكداً أن ذلك الذباب الذي رأيته في الحلم هو ذباب المخاوف -

رأيتني ممتطياً سهوة ذلك الحصان أخوض به لوحدي دونما سيف أو عتاد أو رفاق في خضم جيش مدجج السلاح كثير العدد والعدة.. أمضي وأنا على سهوته.. وهو يجندل الفرسان يميناً وشمالاً بذيله الذي تخلى عن مهمة إفناء ذباب المخاوف واستحال سيفاً بتارا أفنى ذلك الجيش عن بكرة أبيه.. وبعدها أخذ يطير بي فرحاً في صحراء خضراء سرنا فيها زمناً طويلاً حتى لاحت لنا قلعة ضخمة يخطف جلالها البصر فانطلقاً سراعاً نحوها، وما أن إقتربنا من سورها حتى أشرق علينا من خلف ستائر غرفة مظلمة وجه باه منير أعرفه جيداً وعدنى بهاءه بأمال مفرطة العذوبة.

هزرت لجام حصاني أستحثه المسير، لكنى آنست منه تردداً انقبض لي صدره، وماهي إلا ثوان حتى حال بيننا وبين سور القلعة فراغ متناهي البعد سحق العمق تصرخ من داخله وحوش وغيلان وشياطين، ويهدر في أعماقه السحيفة شلال دموع محرق يذيب كل ما يمر به.

وخلف ذلك الفراغ السحيق تلاشت القلعة الجليبة في لحظة كأنها سراب بقيعة، ولم تترك إثرها إلا صاحبة الوجه المنير لمقاة على الرمال الحارقة..

لم تكن هي سوى محبوبتي الغالية.. لم تكن سوى أميرة التي تسكن في التونسي وتركب أتوبيس السيدة عائشة - بين السرايات كل يوم ولاتضع أي نوع من أنواع الماكياج ولاتتقي الله في مطلقاً.. أخذت الدموع تنساب من عينيها المتعبتين وعلى إثر دموعها كان الشلال المحرق في الهاوية يزداد إشتعلاً وإستعاراً.. وأخذت تلوح لي بيد مشتاقة ضعيفة وصوت ملتحاح محتاج تسألني العون وجسمها وجسمي ينتفضان ذعراً وخوفاً. وأنظر إليها ذاهلاً مستوحشاً بعد أن هلك جوادى من فرط الخوف والظمأ، وهممت أن أطيير إليها بجسدي العارى الموحد.. لكنى ترددت كثيراً لإني عيّل وأعول ولايعول علي.. لكن بكاءها أشعل أوار عزيمتي.. ففكرت أن أطيير إليها ولو بجسد خال الجناح معدم الحيلة.. وما

أن شرعت في ذلك حتى انتصب بيني وبينها سد صخرى صلد..
نقشت عليه صور مرعبة لأحشاء ممزقة وأطفال انفطرت قلوبها
من كثرة البكاء وكلمات كثيرة من بينها لا والنصيب والمال
والمجتمع والناس وربنا عايز كده وصور جميلة لفرانكلين
روزفلت وتوت عنخ آمون وقلعة محمد علي وفليكس الذي يلعب
في الأهلي ولايلعب الأهلي فيه.. أخذت أصطدم بالسد فيرتد
جسدى العاجز ليرتطم بالأرض في عنف.. ظلمت أنطح رأسى فى
السد اللعين بعجز مهين حتى شج رأسى وكسرت رباعيتي
وأصبت بالفالج وعندها صحيت مذعوراً باكياً.

من بعدها لم تعد حياتي كما كانت .. ارتسم ذل الحاجز الأكبر
فى كيانى سداً منيعاً يحجب دفاء الشمس عن مسامى ويقتل الحياة
فى خلايا مشاعرى.

وكلما اقترب موعد لقائى بمحبيبتى تتسلل أشعة من البهجة عبر
ثقوب ضئيلة فى سد اليأس المنتصب فى كيانى.. وقلت لنفسى لو
زال هذا السد يوماً لأتبع لى أن أغسل روحى فى نبعها الطاهر.

كلما ألتقيها أتحدث كثيراً بحماس وإخلاص يخران صريعين كلما
تذكرت حلمى وواقعى، فأصمت فى إنكسار.. وبينما أنا كذلك إذا
بالأرض تتبدل غير الأرض والسماوات شرحه - يعنى تتبدل هي
الأخرى - .. وتنغمس روحى الظمأى فى نبع حنان لا تنتهى
عذوبته.

يزلزل صوتها الحنون الهادر سدى المنيع فيغدو أثراً بعد عين..
وأسمعها تقول لى بتصميم: إن حال بينى وبينك فراغ مهما بلغ
بعده ومهما تنهاى إنسحاقه. وإن وقفت بدربك نحوى سدود يأجوج
ومأجوج.. فلا تفعل شيئاً سوى أن تغمض عينيك وتدع روحك
تهتف بإسمينا معاً.

وما إن فعلت حتى أشرققت الأرض بنور متألق وقضى فى أمرى
بالعدل وتراءى لعينى النعيم المقيم.. وتردد فى خاطرى حينها
صوت أمى الحنون وهى تداعب شعرى بأصابعها الكهربائية
المنتعشة وتقول لى:- أنت ولد طيب يابنى.. وسيوقف الله فى
طريقك دائماً بنت الحلال.

الآن وبعد أن ضاعت منى أميرة لم أجد تفسيراً لذلك سوى هذه
المعادلة المنطقية: بما إن الله سيوقف فى طريقي دائماً بنت
الحلال وبما إن أميرة لم يوقفها الله فى طريقي إذن فهي بنت
حرام. وهو المطلوب اثباته بالتفصيل. ه ط ث.

١٩٩٤/٦/٣٠

دموع سمكة غريبة!

" الدنيا دي زي الخيارة .. يوم في إيدك ويوم في نقط "

سمح لى الزمان فجلست على شاطئ النيل لكن من غير جميل، إلا أن سحر شاطئ (الجربى) أغنانى عن جميل أجلس معه.. قدماى مدلاتان فى الماء وتموجاته تصل إلى مشارف ركبتى. هزنى هواء (راس البر) الساحر فأخذت (ألبط) فى الماء كطفل منتشى.. كانت سعادتى ملء ما بين الشطين.. شهيتى مفتوحة على آخرها الهواء والماء والأشياء.. فرغ صدرى من قلقه وهمومه التى طحنته ليلة البارحة.. هل سينشر الموضوع أم لا. هل سينشر كما هو.. هل سيظهر على الغلاف أم سيرمونه فى آخر المجلة بأى بنط سيكتبون إسمى.. هل يسقط الإسم من المطبعة. هل سيوضع فى صدارة الموضوع أم فى آخره.. هل سيكون التوضيب جميلا أم منفرا.. نمت بصعوبة ولم يرحمنى الناموس خاصة أننى نمت بلبوصا.. أيقظتنى طرقات عنيقة على باب الغرفة رافقها صوت نسائى أجش: الساعة ١٢.. حتجدد إيجار الأودة.. إستمهلتها عشر دقائق بينما كنت ألغنها فى سرى..

التحرير.. تسارعت دقات قلبي وكدت أقع من الفرحة .. لكنني
أفقت منها على صوت البائع غليظا متهمكا بلهجته الدمياطية:
- أجيب لك قازوزة وكرسى.. وتقرأها هنا.

لنم أكثرث به.. أخرجت نقودي واشتريت صحف الصباح وعلى
أقرب دكة جلست قرأت موضوعي مرتين تصفحت موقعه بين
مواد العدد وقرأت إسمى للمرة الخامسة عشرة.. خيل إلى أن
البنط أصغر.. حزنت للحظة.. ثم لعنت طمع الإنسان. لو أعطى
لابن آدم واديان من ذهب.. أعدت القراءة ثلاثة مرات وربما
أكثر.

في المطعم أكلت كميات كبيرة وسط دهشة الناس من طريقة أكلى
النهمة.. قلت:- في حالة نفسية كهذه لا بد من (الجربى) وإن
طال السفر.. فى سيارة السرفيس فتحت المجلة على الموضوع
وأملتها نحو الجالس بجوارى وتصنعت الإهتمام بالموضوع.. لم
ألمس منه إهتماما.. أخذت أتمتم بصوت مسموع (يا ولاد الذين..
مجلة ليس لها حل .. فيها صحفيين فراودة). التفت نحو النافذة
الأخرى قرأت وجهه.. يينبك أنه لم يقرأ مجلات من أيام (الإثنين
والدنيا).. بل لم يقرأ شيئاً من أيام المطالعة الرشيدة.

جمعت بقايا عشاء البارحة وأخذت دشا وجمعت أشياءي.. نزلت
الى باحة الفندق.. طلبت غرفة اصغر وأرخص.. صعد بي
الصبي إلى غرفة حقيرة فوق سطوح الفندق.. رميت حقيتى
مسلماً بينما كاد رأسى يلامس سقف الغرفة.. لكن إرتفاعها بشرنى
بهواء رائع وسهر طويل.. دفعت عشرة جنيهاً واستوقفنى
صاحب الفندق طالباً منى بطاقتى زاعماً أن إبنه لم يأخذ بياناتى
بشكل سليم عندما جئت.. نظرت إليه بإشفاق.. لا يعرف من
يحدثه هكذا قلت لنفسي أعطيته بياناتى ومضيت أسابق الريح.

إندفعت إلى بائع الصحف.. قلت بلهفة:

- روز اليوسف جت.

نظر إلى باستهانة وبخشونة قال:

- ما هى متلقة قدامك.

فسرت لحية الكثة وجلبابه الأبيض الطويل عداً لهجته.. اختطفت
نسخة ودارت بى الأرض عندما رأيت عنوان الموضوع بينظ
كبير على صدر المجلة.. أنستى الفرحة نفسى ففتحت المجلة
وأخذت أقلب بلهفة نصفها الأخير - مكان مواضيعي المعتاد -
.. تذكرت أهمية الموضوع فعدت مسرعا إلى النصف الأول..
اصطدمت بعناوين الموضوع وإسمى بارزا بعد مقال رئيس

تخيرت بقعة منعزلة لا يسبح أمامها الأطفال.. توسمت فى المكان
انخفاض الثمن..

طلبت زجاجة مياه غازية و إشتريت كمية من اللب والفول
السودانى.. أصبح همى الآن هل سيثير الموضوع صدئ.. هل
سيبعث أحد المصادر تكذيبا.. ثار قلقي فما نقلته ليس له تسجيل
صوتى..ها أنا عدت للتفكير فى العمل ثانية.. إقتربت من الماء
بصقت على خيالى.. لعنت غبائى.. جئت هنا لأستريح وأنسى كل
شئى..وعندما جئت كنت قد أقسمت ألا أعمل بالصحافة ثانية..
لكنى سأحنت بالقسم ككل مرة ينشر لى فيها أى موضوع.

مهنة داعرة هى الصحافة.. لكنها أسرة.. كحسنا ناهدة تحتويك
فلا تستطيع منها فكاكا تتألم لكن بلذة.. تتصارع نشوتك مع ألمك
ويتبادلان الغلبة.. لكنك فى كل الأحوال تسلم قيادك لسواد
سطورها.. وينقطع نفسك وراء دوران ماكينات طباعتها.. لم يكن
هينا على إحتمال صراع البقاء الذى أشهده كل يوم فى المجلة
لكنى كنت أعلم أنه لا مناص عن ذلك وسط غيلان الصحافة
الذين أعمل معهم.. كنت أكتسب كل يوم أرضا جديدة.. مصدرا
جديدا.. وحبأ أكثر.. وصدافة أكبر من زملائى القدامى لكن تأخر

نشر موضوعاتى كان يذبحنى.. ألتقى حينأ زميلا يطعننى بسؤال
قاتل:

- إنت لسه فى المجلة.

- طبعا. هاروح فىن يعنى.

- أمال فىن شغلك.

أختلق ردا وعذرا للإنصراف وأمضى وقلبى يتقطع.. لحظة
واحدة مالذي جعلنى أتذكر هذا القرف.. هلا فضضنا سيرة الغم
فى هذا اليوم المفترج بالصلاه على النبى.

يقطع خواطري صبى أسمر يقترب منى بصنارته الصغيرة
المصنعة من عود قصب.. ينهمك فى البحث عن طعم.. يجده..
يثبته فى الخطاف الصغير.. يرمى صنارته فى الماء.. يراقبها
باهتمام.. ينزعها متعجلا.. يخيب أمله.. فيرميها ثانية وينزعها
متعجلا.. راقبته مبتسما وقلت:

- ما تستعجلش.. صيد السمك عاوز صبر.

رمقتى بنظرة خاطفة وأدار وجهه إلى الصنارة قاتلا:

- عارف.. عارف..

تجاهلت تجاهله وواصلت:

- ما تهزش الصنارة.. وما تستعجلش على سحبها.. سيب السم.....

قاطعنى بجراءة غاضبة:

- لو سمحت.. السمك بيهرب من الصوت العالى.

سكت محرجا.. راقبت فشله المتكرر بتشف طفولى.. ربما سببه أننى طيلة طفولتى لم أصطد اى سمكة ولم أرى أى سنارة فى أى ماء.. وكان فشله أعطانى مبررا لمواصلة الحديث:

- هنا مش هتقدر تصيد حاجه.. لأن السمك بيهرب من المركب الواقف ده.

قطع كلامى بسحبة قوية للصنارة التى أخرجت معها سمكة كبيرة.. بمقاييس السمك النيلى- وبينما تتلوى السمكة أخذ يضحك بصوت على ويقول لى بظفى:

- شفت.. أهوه.. أهوه.. سمكة كبيرة كمان.

إحمر وجهى خجلا لكننى أعجبت به:

- إنت واد ميه ميه.. الله ينور عليك.

جرى الصبى نحو أبيه الجالس على مقربة منا.. أخذ يهز السمكة فى الهواء وبلهجة دمياطية محببة:

- أبويه.. أبويه.. سمكة كبيرة.

كان أبوه يمسك سنارة رفيعة يدسها فى الماء.. راقبته كان لم يصطد سمكة واحدة بعد.. وضع الصبى سمكته فى كيس مملوء بالماء.. دبت بها الروح ثانية فأخذت تنتفض مصطدمة بأرجاء الكيس الشفاف.. نظرت له أخته الأصغر الجالسة بجواره بغيرة بريئة.. كانت تمسك سنارة أطول من قامتها بقليل.. تنزلها فى الماء وترفعها منه دون جدوى.. قذفت بالصنارة على الرمل وقالت لأبيها بصوت متهدج:

- اشمعنى محمد ياخذ سمكة.. وانا بقى لى م السبح ما خدتش ولا واحدة.

قال لها أخوها: أصلك خايبة.

نظرت لأبيها كأنما تستوثق صحة حكم أخيها.. رفع فمه من على الشيشة.. نفث نفسا عميقا فى الهواء.. ووضع يده على شعرها الأحمر المففل وقال مبتسما:

- أصلك حلوة قوى.. والسمك بيغير من حلاوتك.. فبيهرب بعيد ويروح لصنارة الواد محمد.. بيبص على وحاشته ويضحك عليه فيخبط فى صنارته.

أمضت برهة كأنما تحاول فهم ما قاله.. ثم أعجبها التفسير فضحكت فى سعادة.. أزاحت خصلة شعرها الجميل عن عينيها وقالت:

- محمد يا وحش.. خلى سمكتك تنفحك.

نظر إليها لا مباليا.. وأخذ يمشى إلى وهو يضع طعاما فى صنارته.. وصل إلى فوجدنى أضحك.. قال لى باستهانة: بنت عبيطة.

ضحكت بصوت عالى فنظر إلى مستغربا.. هز راسه.. ورمى الصنارة فى الماء.. كان الموقف هذه المرة.. انتشل ثلاث سمكات وراء بعض.. كنت اهلل فرحا معه بعد كل سمكة.. كان يجرى مسرعا ليضعها فى الكيس ويعود وهو يرقبنى بمودة.. أعجبتنى نظراته الوردية قلت له لأمحو جهل ما قلته من قبل:

- المكان ده فيه سمك كثير قوى.

نظر إلى رافعا حاجبه وعلى شفتيه طيف ابتسامة ساخرة.. هؤلاء الأطفال لا ينسون شيئا.. انتشل السمكة الرابعة قلت له:

- وشى حلو عليك.

لم يلتفت إلى.. وربما أراد أن يثبت لى أنه كفاء وليس محظوظا.. فقال فى جدية:

- إمبراح فى نفس المكان ده.. اصطدت سمك كبير.. بتاع كيلو.

أنسى منى عدم تصديق.. تجهم وقال:

- والله العظيم.. ده أنا حتى شويته كله.

إبتسمت ساخرا.. ظهرت علائم الغضب على وجهه الأسمر أخذ ينادى:

- تغريد.. تغريد.. ثم لى:

- حاجيب لك أختى عشان تصدق.

خطت أخته بدلال.. تنتظر لنا مبتسمة ونحن ننتظرها وعيوننا تراقب خطوها.

قالت بدلال وقد أحست بأهميتها:

- عاوس إيه يا محمد.

وضع يده على كتفها وبحنان بدا أنه مبالغ فيه:

- مش أنا يا تغريد يا حبيبتي (!!) اصطدت سمك كثير إمبراح؟.

استرقت نظرة إلى كيسه المليئ بالأسماك الصحاحية.. وبإسامة ذكية سألته:

- أنهى سمك يا محمد!؟

أرتبك وقال بسرعة: السمك الكبير اللى شويته.

وضعت يدها على وسطها النحيل.. ونظرت إلى يمينه مباشرة..
كان ينظر إليها بلهفة.. يتجاهل إبتسامتي التي تراقب الموقف
كله.. عاودت النظر إلى كيس الأسماك.. ثم نظرت لأخيها نظرة
متحدية.. إبتسمت ومالت نحوى بنصفها الأعلى قائلة:

ما تصدقوش يا عمو.. ده ماصادش ولا سمكة.

إبتعدت جارية.. وفى منتصف المسافة التي بفصلنا عن أبيها
أخرجت لسانها لأخيها.. الذى لم يجز وراءها كما توقعت أطرق
برأسه نحو الأرض.. نظر فى الماء حزينا.. تناول كيس أسماكه
وأدار لى ظهره وأخذ يجز صنارته على الأرض.. توقف على
بعد أمتار منى ورمى صنارته فى الماء دون أن ينبس بكلمه.
خالجنى شعور بالحزن.. أشفقت عليه.. نظرت إلى أخته.. كانت
تراقبنا ضاحكة.. قطبت فى وجهها.. لم تكثر ما أشقاهم وأذكاهم
أطفال هذا الزمان.

مر بائع جرائد يعلن عن بضاعته بلهجته الدمياطية (أهرام..
أخبار.. جمهورية.. المسيه.. روز اليوسف.. نصف الدنيه)..
انتشيت عندما سمعت إسم مجلتى.. وأخذت أنظر حولى مترقبا
أحدا يشتريها.. ضحكت فخورا عندما استوقف والد الطفلين بائع
الجرائد واشترى روزا فقط.. كان سلوكه ينبئ بأنه قارئ قديم

لها.. وضع الصنارة جانبا وأخذ يتفحص الغلاف مهتما.. هز
رأسه مبتسما.. قلت لاشك أعجبه عنوان موضوعى.. قلب المجلة
كلها.. استتفرت حواسي فى مراقبته.. واهتز قلبي فرحا عندما
توقف لحظات قليلة أمام موضوعى مقربا المجلة من نظارته
وواصل تقليب المجلة.

غزتنى نشرة عارمة.. أعجبتنى ساقا فتاة حسناء تجلس على
مقدمة بدال أصفر مكتظ بمن لعلهم أخوتها.. كانت تجلس غير
مضطربة.. ترجع بيد شعرها الذهبى إلى الوراء وتضع اليد
الأخرى على فتحة فى جيبتها تدارى البياض الرائع الذى يظهر
من فخذيهما "الملبنيين".. تمر سفينة كبيرة فتعلو تموجات الماء
ليهتز البدال بقوة.. تشهق بأنوثة وترفع يداها ممسكة بنتوء خلفها
وتنفرج ركبتيها مع الإرتباك.. فتندلق أبصار الشباب الواقف
على الشط.. وأنا منهم.. على المرمر الخلاب موعلة فى التمعن
حتى ذلك الخيال الذى بدا لنا أحمر اللون.. والذى عبر عنه شاب
بسوقيه شبة:

- لباسها باين.. ثم صرخ:حلاوتك يا أحمر.

تركت أشياءى عنده.. وقبل أن أذهب للمركب.. أتجهت إلى محمد
الذى كان لا يزال منكبا على صنارته دون أن يصطاد شيئا..
أحس بخطواتى.. رفع وجهه فاصطدم بابتسامتى.. أشاح بوجهه
سريعا ودفنه فى الماء.. جلست جواره مدليا رجلى فى الماء..
ربت على كتفه قائلا:

- أنا مصدقك يا محمد.. أنت واد حريف فى الصيد.
رفع راسه تدريجيا نظر إلى صامتا.. إحتويته بابتسامة كبيرة..
إنتقلت لقمه الصغير أخذ يهز الصنارة فرحا.. واصلت:
- على فكرة.. إنت لو جيت صنارة كبيرة حتصطاد سمك كبير
قوى لانك شاطر فى الصيد .
نظر فى الماء كأنما يتخيل السمك الذى سيصطاده ثم سألتى بلهفة:
- صنارة بموتور؟!
- أيوه.

نظر إلى أبيه ثم قال:
- بابا وعدنى لو نجحت حيجب لى واحدة.
- يا الله.. شد حيلك عشان تجيبها.
كانت سعادتى بالموقف قد جعلتتى أحرك قدمى فى الماء بقوة..
ربت محمد على فخذى وقال لى بصوت هامس:

تنبهت البننت فضمت ركبتهأ خجلة وأعدت يديها.. الإثنيتين هذه
المررة لتللم جيبتها.. استدار البعض نحو الشاب الذى صرخ
لاعين أجداده فيما لكزه زميل له:
- يلعن ميئين غباتك.. ما تعرفش تصبر.

رد باستهانة:

- يعنى كنت هتعمل إيه لو شفت.. استنى هتشفوف اللى أوسخ
دلوقتي.

التفت يسارا أعجبني منظر حسناء ملتهبة القوام تصطاد مرتدية
شورتا قصيرا رائعا- روعته فيما يكشفه- اقترب شاب قاهرى
منها تشجع ثم قال:

- إزاي بلطية تصطاد بلطية.
أعجبني التعليق.. لكنها رمقته متحدية.. وشخرت قائلة بلهجة
دمياطية:

- البلطية دى ممكن (.....) .
ضحك جميع الواقفين.. بينما بهت الشاب مسارعا بالإنصراف.
إشتقت لركوب النيل.. سألت عامل الكافتريا. فقال لى:
- أرخص لك تركب المركب اللى بيعدى للبر التانى وترجع معاه
وبنص جنيه بس.

أخذت السمكة فى يدي.. كانت حركتها قد توقفت.. واخترق
الخطاف جنبها لتتوسط بقعة دم قشرها الزاهى.. بينما كانت عيناها
جامدة تحديق فى المجهول.. قلبتها محاذرا زعانفها الشائكة.. لا
أدرى لم ذكرتنى بالموت.. انقبضت لحظة وقلت له:

- تزعل يا محمد لو رميتها فى المية تانى.

- ليه.. يا عمو.. إنت ما بتحبش السمك.

- أصلى باحب السمك صاحى.

- بس دى ماتت.

- عشان كده أنا عايز أرجعها بيتها عشان ماتموتش غريبة.

نظر إلى بعدم فهم وقال:

- بس أنا باحب السمك المشوى.

- أنا كمان باحبه.. بس إنت لما بتشوى السمك.. بتشوى سمكة

واحدة ولا بتشوى كثير.

قال بفخر وكأنه تذكر ما حكاها لى عن سمك البارحة:

- لأ.. كثير طبعاً.

- عشان كده لما هتدينى السمكة دى هتفضل معايا لوحدها..

هتتموت غريبه واهلها هيزعلوا عليها وممكن يزعلوا من البنى

أدمين ويهربوا بيتهم اللى جوه النيل وما تعرفش تصطاد حاجة.

- معلش يا عمو ياريت ما تحركش رجلك.. عشان السمك ما
يهرش.

أوقفت حركة قدمى وابتسمت ملء فمى وتأسفت بصوت هامس.

قال لى بصوت هامس يجبر على الضحك: ما تزعلش يا عمو.

أرسل نظرة طويلة نحو البر الأخر.. ثم التفت يهمس لى: عمو..

أنت عندك صنارة بموتور.

ضحكت: أنا عمري ماكان عندى صنارة.

قال بلهفة: ليه يا عمو.

سكت لحظة ثم قلت: أصل.. أصل.. ما اعرفش..

تذكرت قسوة أبى وفقر حالنا. وجملة أبى الدائمة (اقعد ذاكر

كلمتين.. أحسن من المرقعة الفاضية).

ربت على رأسه وقلت فى حنان: عشان كده يا محمد.. إنت هتبقى

صياد كويس.

رفع رأسه بفخر رائع.. غمزت الصنارة فأنثشل سمكة صغيرة

تأملها بفرح.. أخرجها من الصنارة.. ثم قال لى وهى تلوى فى

يده:

- دى عشانك يا عمو.

هممت بلمسها.. لكنه صاح.. حاسب من الشوك بتاعها.

كنت قد امتلكت حواسه كلها وهو يتابع ما أقول.. وواصلت:
- لو رجعناها.. أهلها حيحسوا بالأمان ويفضلوا يلعبوا على الشط
وحتقدر إنت تصطادهم.

أعجبه ما قلت فقال مشجعا: صح يا عمو.

نظرت إلى السحب المنكاثفة كأنما تشد يد بعضها البعض وتمضى
مختالة فى السماء تناطح القمر الذى بدأ حضوره الباهت فى
الظهور أمام ضوء الشمس المتداعى .. زفرت ثم قلت له وأنا أكلم
نفسى عبره:

— الغربة صعبة يا محمد.. لما تعيش غريب فى وطنك تتعب.. لما
تبقى وحيد فى زحمة الناس قلبك يتقطع.. تبقى روحك بردانة..
والحزن يركبك.. والحزن زى العفريت.. لما يركب حد ما
يعتقوش.. لكن لمة الحبايب.. وعيون اللى قلوبهم عليك ومعاك
تخليك دفيان وتخلي روحك عامله زى.. زي إيه.. بص ...

أخرجت سمكة من كيسه المملوء بالأسماك الساحية الجارية فى
ماء الكيس قذفت بها إلى الماء.. إنتفضت برهة ثم غاصت..

واصلت حديثي مع نفسي:

— زى السمكة دى أول ماتشم ريحة الميه الحقيقية.. المية
الواسعة.. مش مية الكيس الضيقة العكرة اللى ما عادش فيها نفس

حلو.. أول ما تشم الريحة دى قلبها ينتفض وتغوص.. تغوص
لغاية ما توصل لعق المية زى اللى بتستكشف إيه اللى اتغير
تحت.. بتدور على أهلها وناسها.. مين اللى شبك فى صنارة
ومين كلته سمكة أكبر منه ومين اللى لسه موجود.. تعيط على اللى
راحوا بس فجأة تنسى وتلوى جسمها وتطلع تانى تلعب مع حبايبها
عالشط وهى عارفة إنها ممكن تشبك فى الموت.. بس بتتحداه..
يمكن نفتكر ده غباء بس أنا شايف إن ده قمة الذكاء والشجاعة..
إحنا كده لما نحب الحياة بننبلط فيها واحنا عارفين إن إحنا فى
الآخر هنشبك فى صنارة الموت أو حتى هنوقع فى شبكة الحزن..
بس بنجرى وبنلعلط وبنبلط ونعيش.. عشان كده أنا عايزك تفضل
تصطاد سمك على طول عشان هتفهم الحياة.. بس إوعى تصطاد
سمكة لوحدها.. ساعتها الزمن مش هيرحمك وهتموت إنت كمان
غريب.

التفت إليه لأجده يحرق فى فاغرا فمه.. إبتسمت ملاطفا. قال لى:

- أنا مش فاهم حاجة يا عمو.

ربت على كتفه:

- إنت لسه صغير.. بكره هتفهم براحتك.

النخيل تبرزغ من بينها مآذن متناثرة وتفوح منها رائحة الهواء
السكر.. تنفست بعمق.. أخذ المركب يتحرك أخرجت نصف
جنيه.. طالبنى السرجل بدفع جنيه ونصف وعندما سألته عن
السبب.

قال لى بغلظة: أصلك مش من أهل البلد.. راكب بتتنفسح.
كان نزقا.. ورأيت أن الأدب لا ينفع معه.. قلت له زاعقا:
- وده من إيه.. مالکش عندى غير نصف جنيه.. ومالکش دعوة
أنا منين.. وما تكثرش فى الكلام معايا أحسن مش كويس بالنسبة
لك.

صدق حدسى فى أن الوقاحة أسلم حل للتعامل معه.. سكت كاظما
غيطه وقد أجبرته لهحتى الزاغة الواثقة على التسليم رغم أنه لو
طلب منى أن أخلع ثيابى كلها وإلا رمانى فى النيل لقلعت دون
نقاش.. استدار نحو جار له وأخذ بصوت عال يحاول (التفحيح فى
الكلام):

- تصدق يا خويه.. بتوع مصر دول باين كلهم (...). ما
تعرفش ليه.. ممكن من الأتوبيسات الزحمة اللى بيركبوها.. تلاقى
الواحد منهم عامل زى الجمل المحمل.. طول وعرض وشنيات..
لكن لو تدور عليه تلاقية بيدور عالى يديه فى القله.

انتفضت واقفا: شد حيلك.. أنا هاعدى النيل وارجع.. عايز ألافيك
مليت الكيس ده سمك.. بس النهارده ٢ كيلو.. أكثر من إمارح.
ضحك: حاضر يا عمو.. حاصطاد ٣ كيلو.. وهاشويك كيلو
بحاله.

تحركت المركب بطيئة والنيل يحملنا على كفوف الراحة.. أخذ
يهدهدى فثارت شجونى.. أرسلت نظرة إلى محمد فلوح لى
بسمكة انتشلها.. شجعتة بإشارة من يدي.. وغلبتى النشوة فأخذت
أترنم (شد القلوع يا مراكبى.. ما فيش رجوع يا مراكبى)..
نظرت إلى المراكبى.. كان ينفخ فى غيظ من قلة الركاب وعرقه
يسيل على ذقنه المهملة.. إنصرفت عنه إلى النيل ملت بجذعى
لألمس الماء بيدي.. مال المركب معى.. فوخزنى بنظرة عدائية
حادة جعلتني أمتنع عن التفكير فى ملامسة الماء.

وصلنا إلى البر الآخر.. نزل الركاب وبقيت أنا أنظر فيما حولى..
دهمنى صوته الأجدش:

- يا الله يابيه.. مستنى إيه سعادتك.

- لا.. أنا هارجع معاك يا ريس.

فضحنتى لهجتي القاهرية.. فأرسل نحوى نظرة طويلة تتضح
بالغيظ.. إنتظرنا إمتلاء المركب.. كان البر الآخر مليئا بأشجار

ضحك الركاب بينما تجاهلت.. ضحكت في سيرى على احتدادى
فى أثر مناقشة عن حقوق العمال والفلاحين وأبناء الشعب
(الغلبة).. قلت لنفسى:

- غريبة بلدنا وناسها.. أهو ده لو كنت غمزته بخمسة جنييه كان
زمانى الباشا سيد الناس حتى لو كنت باكرهه وبقول ان العلم
كثير عليه.. لكن عشان بادافع عنه وما معيش بقيت بادور عاللى
يدينى.

نزلت من المركب نادما على فكرة ركوبه. عدت إلى مقعدى..
كان محمد لا يزال يصطاد فى مكانه.. مررت بوالده ووقفت وقد
خفق قلبى فرحا.. كان قد طوى المجلة على موضوعى وأخذ
يقرأه فى إهتمام.. صممت أن أعرفه بنفسى.. أندفعت نحوه..
أحس بوجودى فرفع رأسه.. خلع النظارة وابتسم فى ود.. نظر
يمينه نحو مقعدى.. تذكر أن ابنه كان يصطاد بجوارى.. قال
لى:- أهلا وسهلا.. تفضل جلست متظاهرا بالخرج.

كانت تغريد لا تزال تضع صنارتها الصغيرة فى الماء دون فائدة
وهى تميل بكرسيها نحو الحاجز الأسمنتى الملاصق للماء.. كان
الضجر يبدو عليها وهى ترفع الصنارة وتخفضها دون أن يفكر
السماك حتى فى أكل طعمها والهرب..

رحب الأب مرة أخرى بى وعاد للقراءة.. فرحت لانهماكه فى
متابعة القراءة ووصلت تقنى بنفسى إلى أقصى حدودها.. ها أنت
يتلهف القراء على إكمال مواضيعك.

ما إن هممت بالكلام حتى هبت تغريد قائمة وهى تصرخ بنشوة
عارمة:

- هيبه.. هيبه.. هيبه.. سمكة.. سمكة.. سمكة..

لم أصدق نظرتها إلى صنارتها.. رأيت سمكة لا بأس بحجمها
تتلوى فى طرفها.. كانت سمكة غبية لا شك أو أن البنيت كانت
محظوظة عندما رفعت الصنارة بقوة - باعثها اليأس - فى
الوقت الذى شبكت الخطاف فى فم السمكة.. اندفعت تغريد دون
أن تزيل السمكة من الصنارة وهى تطوح بها فى الهواء صارخة
مهللة أخذ الجالسون فى المقاعد القريبة يصفقون لها وهى فى تزايد
فى تهليلها بالغة الفرحة.. نظرت إلى أخيها وأخذت تتنادى:

- سمكة يا محمد.. سمكة يا محمد..

أخذت تلوح له بالصنارة مقترية من الحاجز الأسمنتى.. بينما كان
محمد يراقبها من مكانه غير مصدق.. أخذ يقترب.. بينما اندفعت
هى نحوه لتتحداه بانتصاره.. تعثرت فى رجل كرسى ليسقط
طرف صنارتها فى الماء خلف الحاجز الأسمنتى.. قامت بسرعة

وهى متبرمة.. وعندما وصل محمد إلى جوارها رفعت صنارتها
وهى تقول وقد نست وقوعها:
- شايف سمكتى يا محمد.

ارتسمت إبتسامة ظفر على وجه محمد وهو يشير إلى طرف
الصنارة الخالى من السمكة التى تخلصت من الخطاف بحلاوة
الروح عندما شمت رائحة الماء.. التفتت تغريد مذهولة إلى
الصنارة الخالية وحدقت فى طرفها.. ظلت برهة حتى استوعبت
الموقف فيما كان محمد يضحك فى سعادة.. أخذ صوت تغريد
يتهدج:

- كان فى سمكة هنا.. إنت شفتها يا محمد.. صح؟!
قطع ضحكه ثم نظر إليها وابتسم بدهاء.. ثم نظر إلى.. شجعه
ضحكى.. فقال لها فى دهاء:

- سمكة إيه.. إنتى اصطدتى سمكة؟!
ذهلت لوهلة ثم اندفعت قائلة: أيوه والله.. وانت شفتها.
واصل متخابئا: سمكة إيه يا عبيطه.. ماننى قاعدة من الصبح ما
اصطدتيش ولا حاجة.

أحست أنه يثار لنفسه فأخذت تدافع عن نفسها وهى تنظر إلى
أبيها.. لكنه لم يكثرث بالموقف كله.. لم تنظر إلى ربما لأنها

أحست أننى سأنصر محمد عليها أخذت تصيح وقد بدأت فى
البكاء:

- والله حلام.. أنا جيت سمكة.. والله جبتها.
اندفعت وهى تبكى إلى الداخل فيما عاد محمد للضحك.. شاركته
فى الضحك فنظر أبوه إلى مبتسما:
- شقاوة العيال دى توجع الدماغ.
- ربنا يخليهم لك.

شكرنى باقتضاب وعاد إلى (موضوعى) فيما رمى محمد
صنارته فى الماء وهو ينظر إلى أخته الباكية فى مدخل الكافتريا.
أحسست أن الأب يستثقل وجودى.. فهو لم يكلمنى كلمة عليها
القيمة منذ قعدت.. عذرتة.. وتخلت كيف ستتغير معاملته لى بعد
أن أخبره من أنا.. سيعتدل فى جلسته ويحدثنى باحترام.. ربما
يطلب لى مشروبا على حسابه لاشك أنه سيفعل.. سيسألنى عن
الموضوع وكيف توصلت لما فيه وسيطرت على أسلوب كتابتى..
ربما يتذكر مواضيعى السابقة.. لا أعتقد.. لن أكون طماعا فهى
تنشر متباعدة ويصعب تذكرها.. تأملت شعره الأشيب تتوسطه
صلعة تعطى وجهه الأسمر منتفخ الأوداج مظهرا يدعو
للإحترام.. خمنته موظفا كبيرا.. ربما كان يعمل مديرا عاما فى

محافظة دمياط أو هيئة ميناء دمياط .. لو كان ذلك كذلك فيابختي لأنني سأكسب مصدرا جديدا ربما أطلع منه على الأقل بخبر صغير أنشره في بورصة الأخبار وأخذ عليه عشرة جنيهات (حلوين تمن أكلة عدلة وتلات أكلات نص نص و ٦ أكلات مش ولابد).. لماذا هذا الانسحاق في نظرتي .. لماذا أتعامل مع نفسي بوصفي برص .. أنا أكبر من ذلك بكثير .. أنا صحفي محترم صاحب رسالة صحيح أنني لأعرف ماهي حتى الآن .. لكن بالتأكيد أنه سيكون لدي واحدة في يوم ما .. لهذا الموظف الكبير الشرف في أن يعرفني ولا شك أنه بعد أن يحظى بهذا الشرف سيحدث زملاء عمله أو رفاقه على أكثر مقاهي دمياط إحتراما عن الصحفي الذي تشرف بمصادقته وعقب كل موضوع لي سيقول (يا سلام.. الراجل ده صديق عزيز) وربما منحته جزءا من وقتي عندما يتصل بي مهنتا ومباركا .. ومن الممكن أن يؤمن بي أكثر وعندها ربما لو .. لو يعني .. وقعت يوما تحت يده وثائق فساد وخصني بها لأحقق موضوع غلاف آخر (أخذ عليه ١٥٠ جنيهه تمن أكل عدل طول الشهر وأكل نص نص طول ٣ شهور وأكل مش ولايد طول ٥ شهور وأسبوع).

أنعشتني كل هذه الأفكار فقررت الدخول في الموضوع مباشرة.

- حضرتك بتقرا روز اليوسف .
يبدو أنها كانت بداية غيبة للحديث فهو يمسكها بالفعل .. نظر إلى متوسما الغباء:
- أيوه .
قلت لأحسن موقفي: أقصد نقرأها باستمرار .
قال بنفاد صبر : أيوه .
- بتعجبك؟
- طبعا .. مجلة محترمة وجريئة .
إبتسمت بفخر ورجعت بطهرى لأجلس ملء الكرسي .. ثم أشرت إلى (موضوعي).
- إيه رأيك في الموضوع ده؟
- كويس جدا .
لم تسعني الدنيا فواصلت:
-إيه رأيك في أسلوب كتابته؟
كان سؤالا غريبا ..
سألني: حضرتك بتسأل ليه .. قريته وماعجبكش .
قلت بفخر: الحقيقة .. أنا اللي كتبتة .

الحوارات.. وتصور الرجل أن من يكتب موضوع غلاف في مجلة كبيرة لابد أن يكون من هؤلاء.

عزمت على إقناعه بما أقول.. أخرجت بطاقتي الجامعية وقربتها منه قائلاً:

- تفضل .. أنا إسمي طارق مذكور .

نظر إلى البطاقة ثم نظر إلى الموضوع.. أحسست بابتسامة ساخرة على فمه.. تأكد إحساسى عندما وجدته يدس يده فى جيبه ليخرج محفظة جلدية سوداء وأخرج منها بطاقةً قريبها منى قائلاً:

- وأنا إسمى عاطف صدقي. ثم أعادها وهو يبتسم فى سخرية.

أحسست بسكاكين تمزق كبريائى.. فهمت ما يقصده.. كأنه يقول لى أن تشابه إسمك مع الاسم الموجود فى المجلة لا يعنى أنك هذا الصحفى المحترم لأنك بالفعل غير محترم.. وإلا لكنت أنا عاطف صدقي رئيس الوزراء.

هممت بالحديث إلا أنه عاجلنى بابتسامته الساخرة القائلة:

- لا مؤاخذه يا بيه.. أصل الصنارة غمزت.

لم تكن الصنارة أصلاً فى الماء.. لكنه كان يمهد الطريق للتخلص من هذا المدعى الذى هو أنا فى نظره.. نظرت إلى محمد كان

انفض الرجل فى مقعده.. استبشرت خيراً.. لكن نظراته المستتكرة أشعرتنى بالقلق.. أخذ الرجل يتفحصنى بحذر.. أزعجتنى نظراته إلى قدمى.. كان (شيشبى) الذى أرتديه من نوع ردى فضلاً عن تهرئه، كان بنظونى متسخاً وقميصى مكرمشاً.. وشعرت بوخز نظراته وهى تستعرض مظهرى.. كانت نظراته تعرينى وتؤلمنى.. كان المظهر دائماً عيبى الوحيد- فى عرف الناس- ولم اكن أكثرث لذلك.. كنت أهتم بالنظافة لا الأناقة ولأكون صريحاً أكثر فإن ما أجبرنى على هذه الفكرة كان حالتي المادية المتواضعة.. وكنت آمل دائماً فى تغيير الحال.. لكننى كنت أظن أن الناس وهذا الموظف الكبير الأصلع الذى كنت أحترمه يعرفون أن الصحفيين الشرفاء لا أصحاب القرون هم بالضرورة أناس متوسطو الدخل يجاهدون من أجل تحسين معيشتهم.. لديهم هم عام يشغلهم عن المظاهر والشكل.. لكن هذا الرجل الأصلع الذى وقعت بغبائى واندفاعى فى يده يبدو أنه تأثر بكبار الصحفيين الذين يراهم فى نشرات الأخبار أو البرامج السياسية يرتدون بدل (بيركاردان) وربطات العنق الحريرية والأحذية اللميع والوجوه اللامعة يضافحون الرئيس ويجرون معه

ينظر لى بوجه اكتسى بالإشفاق.. أحسست بثقل جسمى وأنا أقوم
وكأنى منسحق تحت صخرة هائلة يحاول رفعها.. لكنه لم يرحمنى
قال لى فى سخرية مريرة: فرصة سعيدة يا افندم.. تبقى تشرفنا
فى مجلس الوزراء.

تجاهلته ومضيت نحو مقعدى متثاقلاً.. بلغته بصعوبة.. رميت
بصرى نحوه لأجده يواصل قراءة (موضوعى) وابتسامته
الساخرة لم تونء بعد.. قتلنى التفكير فيما يجول بخاطره نحوى
الآن. تشاغلنت بالنظر ألى الماء.. دوت من بعيد صيحات غريق
يطلب النجدة.. تدافع كثيرون لإنقاذه لكن أحدا لم يقترب نحوى.
أحسست أن يدا ما تحاول الآن أن تنتشلنى من لجة ما أنا فيه الآن
التفت لأرى يد محمد على كطفى وحنان الدنيا يشع من وجهه
الأسمر الملائكى، نظرت نحوه مصطنعا إبتسامه باهتة لكنه بذكاء
الصغار كان يفهمنى..

مد يده الأخرى بالكيس المملوء بالسّمك قال كأنه يراضينى:

- كيس السمك ده عشانك يا عمو.. عابزك تشويه وتدعى لى
وأنت بتاكله.

هممت بالبكاء.. كان حنانه أقوى من أن يحتمل.. لكنه اقترب
منى.. نظر إلى أبيه ثم قال لى بصوت واثق لكنه خفيف:

- ما تزعلش يا عمو.. أنا مصدقك والله العظيم.

فاض ماء النيل بحنانه البرئ وفاضت جوانحى بالشجن.. تناولت
كيس السمك واحتضنته بقوة.. دوى صوت والده يناديه.. اهتز
واستدار ليلبى نداءه، لكنه غمزنى بعينيه وقال لى وهو ينصرف:

- عايز أقرأ إسمك على طول يا عمو..

اهتز كيس السمك فى يدي.. كان السمك لا يزال يتلوى فى
جوانبه.. إحتضنت الكيس ورحت فى بكاء طويل....

الجربى رأس البر

الأحد ١٩٩٥/٩/٣

٦ أكتوبر.. منزل الزمالك!

"أنا م البلد دي .. بلد أبويا وجد جدي

.. بلد أخويا وولادي بعدي"

السيد الفاضل.....

أكتب إليك الآن من محافظتى بعد أن أنهيت توًا حديثى التليفونى معك الذي وصفتنى فيه بأننى بنت ليس لديها روح أكتوبر... هل تذكرتنى الآن؟

أنا " رانيا " التى حدثتك عن أبى وهو واحد ممن حاربوا فى حربى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣....وقد أخبرتك أنه استمر فى الجيش لمدة تسع سنوات هى فترة تجنيده نظراً للحاجة الشديدة للقوى البشرية فى ذلك الوقت كما تعلم....

وقد قصصت عليك أيضاً بعض ما يؤلمنى.... ولن أقول بعض ما أعانيه لأننى لا أتسول ولا أطلب معونة من أحد أياً كان.... ولأننى " وهذا هو الأهم " لا أتاخر بالأمى نظير شفقة أو عطف من أحد....

وهكذا حكمة الله في خلقه... وهذا هو المثال الذي نسوقه دائماً
لكي نهدي من روع أنفسنا اذا ما بدت بادرة للتمرد على قضاء الله
وقدره....

كل ذلك ياسيدى أنا مؤمنة به.... ولكن ما أعجز عن الايمان به
أو حتى تقبله هو أن يجنى أحد ثمرة كفاح الآخرين بل ويتلذذ علناً
بمذاقها الطيب في حين حرّموا هم منها.... وهذا ما يحدث حالياً..
فسيناء التي حررها أبى وأمثاله ودخلها محارباً مقاتلاً صار الآن
عاجزاً عن دخولها سائحاً يقيم في " لوكاندة " صغيرة ربع
نجمة.... وليس حتى نجمة واحدة....

لأننا.. كما أخبرتك- نعيش في وطن يمنح من يمنعون عنه...
وليس هذا حالي فقط وإنما- من خلال ما قرأت وتابعت- وجدت
أن هذا حال كثيرين....

فألجاء الذى ناله أبى ياسيدى نظير تسع سنوات من أخصب
فترات عمره كان شهادة تقدير...
وقد كان أبى يعتز بوجودها ويصر على أن تظل معلقة فى
الحجرة التى نستقبل بها الضيوف... وهى بالمناسبة أنثريه
متواضع وليست صالوناً على الرغم من شهرة محافظتى التى
طبقت الآفاق فى صناعة الأثاث....

وإنما أكتب إليك وأحدثك فى محاولة لإصلاح هذا الوطن الذى
ننتمى إليه والذى يمنح من لا يعطونه ويمنع ما يملك عن
يمنحونه....

وقد كتبت استجابة لطلبك منى فى حديثك التليفونى معى....

فهل تذكرتى الآن.....؟

إن ما سأكتبه الآن ياسيدى ليس تمرداً وإنما ثورة مكبوتة أردت
أن أفرغ شحنتها على مسامعك وقد استمعت إلى مشكوراً.... ثم
نصحتنى بأن أكتب كل ما أشعر به فى رسالة... وهأنذا يا سيدى
أكتب وأنضم إليك وإلى ثورتك على الورق ضد هذا الواقع
المفروض علينا.. وضد من جعلونا نعيش واقعاً كهذا...

فأنا ياسيدى مؤمنة تمام الإيمان بأن الله خلق لكل انسان مكانة
أعدت له فى الدنيا وعليه الرضا بها لأنه جعل الناس سواسية ولم
يفرق بين أحد من خلقه...

فهناك من منحه الله سعة الرزق وبسطة العيش... ولكنه حرم من
نعمة ما كالسعادة مثلاً.... فى حين أن هناك من حرم سعة الرزق
أو يعد من فقراء المجتمع الذى يعيشه ولكنه يرفل فى السعادة....

وذلك حتى يراها كل من يزورنا ويراهها كل خاطب يتقدم لاحدى بناته....

نعم ياسيدى كان يعتز بها وهذا حق له لا ينكره عليه أحد.... فقد كان يعتبرها دليلاً على رجولته وقوته وشجاعته ونضاله فى حربين من أهم الحروب التى خاضتها مصر.... والتى قادتها عام ١٩٧٣م إلى نصر لا زلنا نعيش عصره....

نعم ياسيدى أقول كان يعتز وأصر على تكرارها لأنه أصبح الآن لا يهتم حتى بالسؤال عن مكانها بعد أن رفعناها من فوق الجدار.. ليس سهواً منه أو غفلة وإنما لأنها فقدت معناها وقيمتها ولم تعد تدل على ما كانت ترمز إليه فى السابق من قوة وهو يرى نفسه " عاجزاً " على حد تعبيره- عن توفير مأوى آخر لنا بدلاً من شقتنا التى يتساقط المطر متسللاً من شقوق سقفها فوق رؤوسنا فى الشتاء... بل وفى الصيف أحياناً ينزل الماء الذى تشربه السقف واحتفظ به أثناء الشتاء....

نعم يا سيدى فقدت شهادة التقدير حتى صلاحيتها لدى من منحوها له حين وجد نفسه عاجزاً عن تسوية معاشة لأنه وجد أن هذا المعاش سيكون فى حدود ٧٠ جنيه على الأكثر لأن عمره ما زال ٥٢ سنة.... " هذه سن صغيرة بالنسبة لهم "...

نعم يا سيدى فقدت شهادة التقدير أبسط ما ترمز إليه وهو عودة ملكية الأرض لأصحابها... أتدرى لماذا....؟

لأن أبى عندما أراد الذهاب لأرض القمر- والتى دخلها عندما كانت خرابية- بعد أن سمع عن التطورات التى حدثت وتحدث بها- فى رحلة قصيرة لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع على الأكثر فى إجازة أحد الأعياد... لم يستطع....

ليس لأنه لم يك يملك ما يدفعه اشتراكاً نظير قيامه بهذه الرحلة.. " فحاشا لله أن أنكرنعمة ربي" .. وإنما لأنه وجد نفسه أمام خيارين إما الرحلة أو توفير المبلغ لمصروفات التيرم الثانى بكليتى وقد "حسبها كويس" على حد تعبيره- وقضى الإجازة فى البيت.... " على الأقل أهو معنا " كما قال-.....

قد يقول البعض أننى مستورة للغاية أو من الأثرياء بالنسبة لهم لأننى أجد من يوفر لى مصروفات دراستى بدلاً من أن أعمل بنفسى لتوفيرها.

وأقول لهؤلاء:.... نعم ليس من حقى أن أشكو وأنا بالفعل لا أشكو قلة المال أو شدة الحاجة وإنما أنا صاحبة قضية يشاركنى فيها آخرين كثيرون.... ولئن شكوت فأبنتى أشكو ألماً أعانيه يعانيه غيرى حين وجدت أبى عاجزاً عن رؤية الأرض التى دفع ثمن

حريتها هو وأمثاله من عمرهم.... فى حين يستمتع من حاربوهم طاردين إياهم منها ومحررينها من برائتهم بها وبتأثيرات دخول رسمية سليمة تباركها الحكومة بدعوى السياحة.... نعم يا سيدى هناك ألم شديد أعانيه عندما أجد أن مجهودات أبى وغيره ضاعت هباءاً.. ليستفيد منها من لا يعرفون عن كلمة ٦ أكتوبر شيئاً سوى أنها اسم لكوبري به منزل شهير يقودهم الى الزمالك حيث منازلهم العامرة بخيرات الله .

نعم يا سيدى أنا لا أتسول طالبة شيئاً أياً كان سوى رد كرامة رجال أهدرت فى زمن السلم وليس فى زمن الحرب.... ويبد من ينعمون بحرية دفع أبى وأمثاله ثمنها.... نعم أنا مستورة والحمد لله - وسأظل أؤكد هذا- ولكن على حساب من....؟

على حساب صحة أبى وعمره لأنه لا توجد أمامه بدائل أخرى... لن أصف لك ياسيدى حالته الصحية وما يعانيه لأننى كما قلت لا أتسول ولا أطلب شيئاً....

وأما سأخبرك باكتشاف ألمنى للغاية .. وهو أننى وجدت نفسى مؤخراً لا أشعر بالفخر إزاء ما فعله أبى...؟ أتتصور هذا... تسع سنوات قضاها فى حربين هددتا حياته شاباً صغيراً وخرج منها

شاباً ناضجاً فى الثلاثين من عمره تقريباً دون إعاقة جسدية ظاهرة للعين " لا شئ " سوى قرحة معدة من هول ما عاناه فأبى يا سيدى وغيره كانوا يضطرون لشرب البول ارواء لظمئهم... بل أنه سار ستة عشر يوماً كاملة حتى يصل إلى مكان آمن فى نكسة ٦٧ بعد أوامر الانسحاب....

بل وشاهد بعينه أحد زملائه يموت ويطلب منه وهو بين الحياة والموت أن ينهى أبى آلامه برصاصة لأنه " ميت ميت " فعجز أبى عن ذلك....

وما هى إلا لحظات حتى دهست دبابة ما تبقى منه وأنهدت آلامه....

أتخيل يا سيدى كيف كان سيصبح حال هذا وأمثاله لو كان ظل على قيد الحياة بإعاقة ما.....

نعم يا سيدى لا أشعر بالفخر.. أو لم أعد أشعر بالفخر...

أتدري لماذا...؟....

لأننى لا أجد من يشعرنى بأن ما فعله يستحق الفخر... فى حين أجد الفخر كل الفخر بأصحاب السيارات الفارهة والأموال المجهولة المصدر التى تبعث هنا وهناك فهؤلاء فقط يا سيدى هم من يمنحهم وطنى أعز ما يملك ويذلل لهم كل صعب ويبدل لهم

كل غال في حين أن هؤلاء يبخلون بأبنائهم على هذا الوطن-
الذي أعطاهم كل شيء- في وقت السلم فما بالك لو كنا في وقت
حرب...

نعم يا سيدي لا أشعر بالفخر.. وكيف أشعر به أبي مطالب بأن
يقوم بإجراءات مهينة في المكاتب الحكومية إذا أراد مثلاً الحصول
على شقة تناسب امكاناته بدلاً من شقتنا التي توشك على الانهيار
لولا رحمة من ربى...

أو عليه مثلاً أن يناشد احدى المسؤولين عبر احدى الصحف أو
البرامج الاذاعية أو التلفزيونية مطالباً بحجرة وصالة متاجراً
بتسع سنوات بطولة حتى يمن عليه أحد المسؤولين....

مع أن هؤلاء وأمثالهم هم من منحهم أبى وأمثاله حريتهم ودفَعوا
ثمنها إما عمرهم أو من عمرهم....

فهل يعترفون بذلك بصدق ولو بين أنفسهم...؟

أشك...

نعم يا سيدي لم أعد أشعر بالفخر الذى كنت أحسه فى الماضى
كلما كان يقص أبى على مسامعنا ذكريات الحرب والنصر
وخاصة أنه كان ضمن قوات العبور حيث كان قائد احدى
الدبابات....

أتدري لماذا يا سيدي...

لأننى صرت أعتبر تلك المشاعر الصادقة ما هى إلا مشاعر
"عبيطة" لطفلة صغيرة كانت تظن أبناء هذا الوطن الذين دافعوا

عنه أبطالاً فى نظر الآخرين كما كنت أرى فى أفلام السينما....
فكنت أسير بجواره فى الشارع وأسرح بفكرى وأتصور أن كل
من يصفحهم ويلقى عليهم التحية إنما يردون سلامه وتحيته علماً
منهم بما فعله من أجلهم ومن أجل هذا الوطن.... كنت أتصور
هذا إلى أن بدأت أكبر قليلاً وأشارك أسرتى الصغيرة بعض
أحلامها الصغيرة أيضاً وآلامها الكبيرة فى مواجهة ظروف الحياة
المختلفة....

نعم يا سيدي كنت أتصور ذلك إلى أن اكتشفت أن هؤلاء الأبطال
- الذين تصورهم لنا السينما على أنهم كذلك- يعملون عند عليّة
القوم الذين ضنوا على هذا الوطن بأبنائهم الذين هم أبناءه أيضاً.

فتخيل يا سيدي كيف يكون شعورك عندما تجد أن من منحوا
هؤلاء حريتهم يعملون تحت امرتهم بل وفى مهن لا تليق لى
هؤلاء....

أتراك لا تزال تتساءل بعد كل هذا لماذا لا أشعر بالفخر...؟..

ملحوظة:- رجاء نشر اسمي كالاتى: (" داليا أحمد محمد " -

دمياط) فقط.....

ورقم التليفون لديك أو لدى كل من يريد الاتصال بى من جريدتكم

فقط.. إن أراد أحد ذلك..

وشكراً لصبرك إن قرأت رسالتي حتى النهاية.

الصخره و الطحالب

"تذكرت والذكرى تضر بذي الهوى

..ومن حاجة المحزون أن يتذكرا"

من فوق صخره منعزله على شط "ستانلى" تستطيع أن تفهم الحياه أكثر، تستطيع أن تدرك قدرتك على مواجهه الغدر والجفاء والوحده وقسوة القلوب وخيبه آمال وظلام الواقع، تماما مثلما تفعل هذه الصخره- التى تجلس عليها- وهى تواجه كل يوم الموج والريح والليل والبرد والملح، عليك فقط ان تتوحد معها فيكون لك قلب قد من صخر ،وعندها ستعيش- والتعبير هنا مجازى فالصخور لاتعيش- وتموت شامخا دون تقريط فى شئ ،والضربيه التى تدفعها غير أنك ستعيش "صخر" وتموت "صخر" هى أنك ستأكل يوم بعد الآخر ، تماما مثلما تتأكل هذه الصخره- التى تجلس عليها- بفعل مطارق الموج والملح.

من فوق هذه الصخره ستفهم أن بحر الحياه قد يصفو لك حينما ،فتأخذ أمواجه الوديعه فى التراقص تحت قدميك وتداعب "تآكلاتك" التى صنعتها هى بنفسها ،وتغمر الطحالب المتناثره أمامك برفق وكأنها تمسح شعرها وتطبطب على ظهرها على

بين "رجلي" الكتاب

لاستغرب هذا العنوان ولا تظن بي السوء لاختياري له ، فما اخترته إلا لأنني وجدته موافقا لمقتضى الحال ، فقد جرت عادة الكتاب أن يضعوا لمقدمات كتبهم عنوانا يطلقون عليه (بين يدي الكتاب)، وهو ما كنت سأفعله لو كنت نشرت هذه الكلمات في مقدمة الكتاب، بالمناسبة فكرت أن أضع لهذه الكلمات عنوان (مؤخرة) على عكس عنوان مقدمة طبعاً، وهو العنوان الذي كان يختم به كتبه الناقد العبقري الراحل سامي السلاموني، لكنني وجدته عنواناً مبتدلاً فاخترت عنواناً أكثر ابتداءً هو (بين رجلي الكتاب).
قال لي صاحبي وهو يحاورني: ألن تخجل من نفسك عندما تكبر ابنتك وتقرأ الابتدال الذي تكتبه، قلت له : سأخجل من نفسي فعلاً لو فشلت في تربية ابنتي ومنعها من ممارسة عادة سيئة كالقراءة خربت بيت أبيها وجابت له وجع الدماغ.

ظهرها اعتذاراً عما فعلته بها ، ولأن الطحالب من الحياه ، والأحياء أغبياء ، فهي تصدق لكناك صخر عليك أن تدرك أن تلك الوداعه والحنان سينقلبان عن قريب عاجل غدرا عاصفا لايرحم، عندهما ستكون وحدك المتأهب المستيقظ- والتعبير هنا مجازى فالصخور شامخه شموخ الموت لاشموخ اليقظه، من فوق صخره ستأنتلى ستجد وأنت تنقرس في وجوه من حولك زملاء لك "صخريين" جاءوا هنا يوماً "أزواجاً قبل ان يعودوا كما خلقهم الله أول مره "فرادى" أو قل إن شئت الدقه جاءوا وهم "طحالب" قبل أن يتحولوا إلى "صخور" بالمناسبه المحبوبات يتحولن أيضاً إلى صخور ، لكن يتم معالجتهم كيميائياً ليصبحن قطعاً من "السيراميك" الاستيلو بتشديد اللام، ليزين الشقق الفاخرة من غير تشديد اللام.
من (داخل) صخرتك المنزله ستسمع أصداء ضحك العشاق الملتصقين وهم يضحكون على "المجنون الذى لا يخاف الموج والبرد ويجلس ليغنى وحيدا فوق تلك الصخرة"، وسترثى لهم أنهم لايعرفون من تكون ، وستعجب من حال الدنيا التى صفق أهلها يوماً عندما اكتشف أحدهم سر تحويل الصخور إلى ذهب ، وأنت لا يصفق لك أحد وأنت مكتشف سر تحويل القلوب إلى صخور .

صحفية وكلمات مختصرة لكي لا يبذل الكتاب والصحفيين مجهودا
في إعداد مواد عنها للنشر بل يقومون بنشر ما يصلهم مع هذه
الكتب، وعندما استكرت مثلك مايفعله هؤلاء وجدت ردهم منطقياً
إذ قالوا أنهم ككتاب يواجهون أزمة عدم قيام الكتاب والصحفيين
بقراءة الكتب التي ترسل لهم لأنهم بدورهم يعانون من أزمت في
الحياة تجعل القراءة آخر ما يمكن أن يقوموا به، وبالتالي فإن
الصحفي أو الكاتب يظلم كتبهم بركنها على مكتبه حتى يجد وقتاً
لقراءتها وكتابة عرض صحفي عنها، ولذلك فإن مايفعله الكاتب
بعمل عرض عن كتابه يقدم به خدمة لكتابه ويساعد على وصوله
الى القارئ، أي أن الكاتب يلعب في نفس الوقت دور الناقد ودور
الصحفي وأحياناً دور القارئ، أليس هذا يحدث الآن فلماذا تستكثر
على صديقك أن يقدم نفسه للقراء، اليس هو الأولى بلحم قرائه، ثم
لماذا يورط معه شخصية عامة لتقدمه للناس وتجاهله دون أن تقرأ
قصصه لمشغولياتها المتعددة فتتصب لعنات القارئ عليها إذا لم
تعجبه القصص وهو احتمال قائم إذا كان قارئاً لايفهم وليس عنده
نظر ولايتذوق الأدب الرفيع، من الأولى أن تنصب عليه هو
اللعنات لأنه شال الليلة كلها، ثم قل لي مالذي سيقوله من يقدمني
للقراء، هل سيقول لهم أنني مفاجأة وأنه لم يكن يتوقع أن أصل في

قال لي صاحبي وهو يحاورني: جرت العادة أن يلجأ من أدركتهم
حرفة الأدب في أعمالهم الأولى الى كبار النقاد والكتاب ليقدموا
أعمالهم الى القراء ويزكوها لهم بأن يكتبوا عنها دراسة تبين
مواطن الجمال فيها وتصف مدى انبهارهم واستمتاعهم بما قرأوه
وأملهم في أن يشاركهم القارئ بهذا الانبهار وذاك الاستمتاع.
قلت له: أنني فكرت في ذلك فعلاً وكان لدي أكثر من اسم أدره
لمثل هذا الغرض لكنني اكتشفت أنه لن يستطيع أحد أن يجاملني
مثلي ولن يستطيع أحد أن يصف للقارئ مدى انبهاره واستمتاعه
بما كتبت سواي، وأنا أقدر من غيري على عمل دراسة تبين مواطن
الجمال بل ومواطن القبح في ما أكتب، ولولا أنني مشغول بدفع
هذا العمل الى المطبعة لكتبت عنه دراسة ضافية تضعه في مكانه
الصحيح في حركة الأدب العالمي وهي حركة قرعة في أيامنا هذه
قلما تنتج عملاً كالذي بين يديك أو فوق رجلك الآن.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: هل جننت وأخذ بك الهزل مداه
لتقول كلاماً تافهاً كهذا، قلت له: لست بالهازل ولا المجنون، فما أنا
الا نتاج لعصري وتقاليد، وفي عصري هذا رأيت كتاباً يشار لهم
بالبنان — بينما كتبهم تستحق أن يشار لها بالوسطى — يكتبون
كتباً رديئةً ويقومون باهدائها للصحفيين والكتاب مشفوعة بعروض

لأولاده لكي يقولوا يوما "أبونا كان متقف وكان عنده دولاب مليان كتب".

قال لي صاحبي وهو يحاورني: سيبك من الهزار وقل لي لأي قارئ تحلم أن يصل ماتكته ؟ قلت له : أنا على عكس كثيرين من الكتاب أعرف قارئ جيد لأن القارئ الذي أتوجه إليه قارئ شبيهي ، يحب اللك ويعشق الاستطرد، ليس لديه ما يخسره وليس عنده ما يكسبه، يعشق البذاءة ويكره تربية أولاده عليها، متناقض متناقص لا يغسل يديه قبل الأكل بل بعده فقط، يؤجل الذهاب الى الطبيب إلا عند فوات الأوان، يحب تقليب المواجه على نفسه ويموت في السخرية من نفسه الأمانة بالحزن، لا يحب قراءة الدراسات النقدية ولا الأعمال الأولى للكتاب، ويفضل مشاهدة فيلم جيد على قراءة كتاب غير مضمون المستوى، قارئ يحب الكتاب الذين يضعون في كتابهم صفحات كثيرة تعرفهم بالكاتب وتعرض انجازات الكاتب ومناصبه واسهاماته في الحياة حتى يحسوا أنهم لم يأخذوا مقلبا عندما اشتروا كتابا كهذا ، ولذلك سأفعل هذا في كتابي هذا وسأستعرض كل عضلاتي على القراء وسأكتب لهم صفحات مطولة عن مشواري الحافل في الحياة وأشعرهم بأنني أحسن منهم بألف مرة وأنهم لا بد أن ينسحقوا

كتابتي الى هذا المستوى المعجز في الكتابة، طيب أستطيع أنا أن أقول هذا دون أن يشيلني أحد جميلا، هل سيقول أن دلالات النص عندي تصل الى مستوى من البيوريتانية لم يتكرر كثيرا في السرد العربي لعذوبة النص وشفافيته وقدرته على دمج اليومي بالسني بالموروث الحكائي، أستطيع أن أخبط لك دراسة مليئة بهذا الهذر الذي يملأ مقدمات الكتب العربية كل يوم لكني لأتوجه الى قارئ يهتم بكلام من هذا النوع.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: إذن الى اي قارئ تتوجه؟ ، قلت له : الى أي قارئ يستطيع دفع ثمن هذا الكتاب بدلا من أن يشتري به شيئا ينفعه أكثر، أو ربما لأنه لن يستطيع بثمن هذا الكتاب شراء شيء ينفعه أكثر، فلن يستطيع بثمنه سوى أن يشتري سندوتش شاورمة ونصف – كومبو – ولن يشبع من ذلك ، ولن يستطيع قطع تذكرة سينما في دار عرض محترمة، ولن يستطيع الجلوس في كوفي شوب محترم، ولن يستطيع قضاء ساعة حرام مع بائعة هوى محترمة، ولن يستطيع شراء كتاب لمحمد حسنين هيكل أو ديوان لمحمود درويش أو رواية لماركيز، ولن يستطيع شراء تي شيرت شيك إلا من وكالة البلح، بالتالي ف شراء هذا الكتاب أجدي وأهدى سبيلا، على الأقل اسمه اشترى شيئا يورثه

الحقيقي يحرق في الكتابة حزقا لانقوم به سيدة تعسرت ولادتها وأن عملية الكتابة مؤلمة و"مؤرفة" وليس بها أي قدر من السعادة ولايمكن أن يكون هناك من يكتب وهو سعيد بأنه يكتب إلا إذا كان كاتباً تافهاً لاقيمة لما يكتبه، وأنت تعرف أن الكتابة لا تغير الحياة لأن الكتابة شغالة على ودنه من يوم بدء الحياة والحياة لا تتغير إلى الأسوأ، إذن عليك أن تحترم شجاعتني حتى لو لم تعجبك.

عدوي القارئ .. أخطبك هكذا بصراحة لأنني لأحتاج لنفاقك كما يفعل الكتاب الذين يخاطبونك كذبا وزورا بقولهم "عزيزي القارئ"، ولست أصفك بالعدو لأنني أحمق أو غاوي جر شكل بل لأنني أجد هذا التوصيف المنطقي والسليم الذي تفرضه العلاقة بين الكاتب والقارئ، فلو كان القارئ عزيزاً لما تشوق الكاتب لمعرفة رد فعله على ما يكتب ولما عاش كل هذا الخوف والقلق وهو ينتظر ردود الأفعال على عمله، هذا الخوف وذلك القلق وذاك الترقب لا يصدر عن الإنسان الطبيعي إلا وهو يتأهب لمواجهة عدو يخافه ويرهبه ويتأهب للقائه، سيقول لي قائل لكن الإنسان يشعر بهذه المشاعر وهو يتأهب للقائه حبيبه، وسيظن أنه غلبني بهذه الحجة التي تبدو منطقية، لكن ردي بسيط: ومن قال

أمامي وهم يقرؤون لي فيعتبروا كل ما كتبه تحفة أدبية لأنها صدرت عن شخص قام بأشياء لا يقدر على القيام بها، هذا يا صديقي هو القارئ الذي أتمنى الوصول إليه وإذا نجحت في الوصول إليه فلست أطلب فشلاً أكبر من هذا.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: لماذا تكتب؟، قلت له : لأن أهلي فشلوا في تعليمي صنعة أخرى تدر دخلاً أكبر ولأن مجموعي لم يؤهلني لدراسة هندسة البترول. قال لي: هذه إجابة عبثية لا تتصور أنها مضحكة، قلت له: وهكذا هي الحياة أيضاً فلماذا أنت زعلان. هل تريدني أن أقول لك أنني أكتب لأن الكتابة هي البديل عن الجنون، ولأن الكتابة هي السبيل الوحيد للاستمرار في الحياة، ولأن الكتابة تصيب المرء بالسعادة، ولأن الكتابة هي التي تغير الحياة، وما إلى ذلك من الكلام الكبير الذي يقوله الكتاب عن كتابتهم، من الممكن أن أريحك لكني لأحب أن أعشك ولذلك قلت لك الحقيقة، فأنت تعرف أن أغلب الكتاب غير أسوياء عقلياً ونفسياً أي أن الكتابة ليست بديلاً عن الجنون بقدر ما هي سبيل إلى الجنون، وأنت تعرف أن الكاتب لا يموت عندما يتوقف عن الكتابة بل يموت عندما تخبطه عريية أو تقع به بلكونة أو يأكل أكل السوق يعني باختصار عندما يجيء أجله، وأنت تعرف أن الكاتب

لك إن الحبيب ليس هو الآخر عدواً، ألا يأكل الروح ويحتل الوجدان ويشغل البال ويلخبط الحياة ويجيب عالي النفس واطيها، وهل يفعل العدو ما هو أكثر من ذلك. أرجع مرجوعي لأقول لك أنني أسف على كل الكلام الذي قلته أنفاً عزيزي وحبيبي القارئ فأنا بجد متشوق لمعرفة رأيك في ما كتبتة ونفسي بجد أن يكون قد أعجبك وأن أكون قد رسمت شيئاً ما على أي حنة لديك فكما تعلم ليس لي بركة إلا أنت وتستطيع أن تعتبر كل الكلام السابق الذي يفنقر إلى الذوق واللياقة مجرد تخريفة أنت أوسع من أن تكون ضيقاً وتقف عندها طويلاً.

ولأنني من زمان أحلم باستخدام تعبير كنت أقرؤه كثيراً هو تعبير "بين ضفتي الكتاب" فإنني أحب أن أقول لك أن كل ماتقرؤه بين ضفتي هذا الكتاب تهيبت نشره طويلاً ربما لأنني كنت أعاني خلال عملي بالصحافة من عقدة نظر القراء وخصوصاً المتقنين منهم إلى الصحفيين بأنهم يحاولون أن يضعوا على كتفهم شريطة بكتابة الأدب أو ما يعتقدون أنه الأدب، ثم عندما تركت الصحافة وعملت في السينما صارت العقدة بشنيطة فكتاب السيناريو ينظر إليهم دائماً على أنهم يحاولون كتابة الأدب لأنهم في داخلهم لا يكتنون الإحترام الكافي لمهنتهم، وبعد تردد طويل قلت لنفسي

ملعون أبو دول على أبو دول سأنشر ما كتبتة وخلاص واللي يحصل يحصل.

ستسألني أين ذهب صاحبك الذي يحاورك، سأقول لك أنه دخل إلى دورة الميه وعاد ليسألني: لكن القمص التي تنشرها هنا غير متجانسة في نوعها بل من الممكن اعتبارها خليطاً متنافراً بعض الشيء، قلت له: كل ما يهمني أنني أعتقد في داخلها أنها قصص لأن القصة في تعريفي الأهل المتواضع هي أن تحكي حكاية ما بأسلوب فني - ألم أقل لك أنه تعريف أهبل - فإذا قرأ القارئ قصة ما في هذا الكتاب وأحس أنها فعلاً قصة مثلاً أحسست أنا فله جزيل الشكر والتقدير، أما إذا رأى غير ذلك فماذا سأفعل له، نصيبه بقى، من حقه أن يقوم بإرجاع الكتاب إلى البائع قائلاً له أنه لقي جواه قصتين أو ثلاثه هم مش قصتين أو ثلاثه، وسأترك حقي في الرد عليه لعزيزي البائع.

منذ سنوات بعيدة وأنا أتمنى أن أمتلك شجاعة صاحب محل كشري في شارع حسين حجازي المتفرع من شارع القصر العيني والكائن وراء مجلس الوزراء خبط لزق، وجد الرجل نفسه وقد وقع محله بين داري نشر علقت إحداهما لافتة كتب عليها دار الإعتصام للنشر والتوزيع وعلقت الدار الأخرى لافتة كتب عليها

لكي نكون واضحين معا منذ البداية أؤكد لك عزيزي وحبیب قلبی القارئ باشا أنني لأضمن لك شيئاً إذا قرأت هذه المجموعة، كان بودي أن أقول لك أن هذه المجموعة ستصیبك بالسعادة أو بالنشوة أو بالبهجة، فما يدريني أنك كئيب المزاج أو سوداوي المشاعر أو سيكوباتي النزعة، فما سينتج عن قراءتك لهذه المجموعة يتوقف عليك أولاً، هل أنت ابن حلال وعايز تنبسط، هل أنت ابن ... حلال برضه وعايز تطلع القطط الفطسه فيما تقرأه لكي تشعر أنك أفضل من الكاتب وأن الشيء الوحيد الذي ينقصك لكي تكون كاتباً هو أن تكون فاضياً زي الكاتب الذي خدمته الظروف ووجد وقتاً للكتابة.

مأضمنه لك هنا هو أنني بذلت مجهوداً كبيراً في كل ما كتبت، ترددت ألف مرة قبل أن أنشره، ولعلك تلاحظ أن أغلب القصص مر على كتابتها ربح من الزمن حاولت خلاله أن أعيد كتابة أغلبها وأن أمزق بعضها وأن أتخذ قراراً بعدم كتابة هذه السطور وأن أتوقف عن نشرها بالمره لكن أهوه آدي اللي صار وآدي اللي كان. وهامي المجموعة بين يديك الكريمتين وهأنا ذا أنتظر رأيك الكريم بفارغ الصبر، شوف حكمة ربنا لما يحوج الإنسان للإنسان. على أي حال أريدك عزيزي القارئ أن تدرك جيداً أنني

دار الفكر للنشر، فقام بائع الكشري بتعليق لافتة على محله كتب عليها (دار البرنس للمكرونة)، منتهى الثقة بالنفس والفخر بما يقدمه وعدم الإنسحاق المكروني أمام الكتب والنشر والثقافة. هل فهمت ما أقصده عزيزي القارئ، لو لم تفهم فليس ذلك مهما لأنني نفسي لست متأكداً ما إذا كان هذا الإستشهاد له علاقة أساساً بما نرغي فيه الآن سوياً. لكن على أي حال أتمنى أن تكون قراءة ما كتبت هنا أو بعضه على الأقل لذیذة بالنسبة لك كذلة طبق كشري بالكبدة خالي العدس ورد زيادة دقة زيادة من عند كشري الصاروخ في محطة مصر بالإسكندرية أتمنى أن تكون قد أتيت لك الفرصة بزيارته.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: لعل أسخف مافعلته في مجموعتك هذه هو إصرارك على نشر هذه السطور في نهايتها، طلبت منه أن يتذكر ماقولته له في بداية حوارنا وهو ما لن أعیده له ولك ثانية، وقلت له أنني أعتقد أن هذا رأيه الشخصي الذي لا يعنيني لأنني أعرف أن هناك آخرين يعتقدون الآن أن أسخف مافعلته في مجموعتي هذه هو نشرها لها، ولعل أخشى ما أخشاه هو أن أشاطرهم يوماً ما هذا الرأي.

بمراجعة نفسك وإعادة قراءة المجموعة مرة أخرى لكي تجد فيها ما يعجبك ويحلل ثمنها فأنا وأنت نعلم أن الإنسان حيوان تبريري بطبعه وهو يبهر لنفسه دائما وقوعه في مطب قراءة الأعمال الرديئة ومشاهدة الأفلام البشعة بأنه لا بد من خوض مثل هذه التجارب لكي يكون الإنسان مطلعاً على كل شيء حوله، وإذا كنت عزيزي القارئ من هذا النوع الذي يشبهني فقد أرحت ضميري بل إنك أثلجت صدري كمان لأنني أصبحت متأكداً أنك ستشتري مجموعتي التالية أيا كان رأيك في الأولى فأنت من يطلق عليه الكتاب والناشرون عادة لفظ " زبون " فأهلاً بك وسهلاً. أما إذا كنت قد وصلت إلى رأي قاطع وحاسم بأنني كاتب حقير لا يستحق أن تقرأ له عملاً آخر فدعني أقول لك الآن وقبل أن يتم نشر مجموعتي التالية لأنني لم أكتبها بعد أنك أضعت فرصة طيبة على نفسك بسبب قرارك العنيد، لأنني متأكد تمام التأكد أن مجموعتي التالية ستكون أفضل من مجموعتي هذه، لا تسألني لماذا أنا متأكد فالأمر يطول شرحه أو بمعنى أصح لا يمكن شرحه، عليك أن تقبله أو ترفضه، إذا قبلته فأنت الكسبان وإذا رفضته فالحق مش عليك، الحق علياً إنني عملت عقلي بعقلك وكتبت لك كتاباً مثل هذا وهأنت طلعت من اللي ما بيتمرش فيهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أنتظر رأيك لمجرد العلم بالشيء ولأن عملي في كل من الصحافة ثم في السينما أكسبني خصلة شديدة السوء هي الحرص على معرفة رأي القارئ أو المشاهد، وإذا كان ذلك ضرورياً وصحيحاً في كل من المجالين خاصة أنك تقبض أجرك من جيب القارئ أو المشاهد ولذلك فنجاحك متوقف على رأي سعادته. لكن هذه المرة الأمر مختلف لأن الكتاب زيه زي البطيخة قد تصيب في قرار شرائه وقد تخيب، وفي كلا الحالتين تكون قد اشتريته أو بمعنى أصح شربته. على العموم أنا مواطن صالح مثلك في محصلة الأمر وأعلم جيداً أن الجنيه أصبح عزيز قوي لذلك فأنا أتمنى لك من كل قلبي أن تشعر بأنك أصبت، على الأقل لن أشعر بالذنب تجاه أولادك وأهل بيتك أو حتى تجاهك إذا كنت سيئ الحظ ولم تتزوج أو تتجب. أما إذا شعرت أنك أخطأت فأرجوك لانتهمني بالغش لأنني على حد علمي وفي حدود ما قرأت أعتقد أنني الكاتب الوحيد الذي امتلك ما يمكن أن تسميه الشجاعة – أو الوقاحة لو أحببت – التي جعلته يصارح قارئه إلى هذا الحد بأنه لا يضمن له نتيجة ما يقرأه وأن الأمر فيه مخاطرة عليه أن يفكر فيها جيداً، يعني أنا عملت اللي عليا وعداني العيب وقزح. على أي حال أعتقد أنك إذا وصلت إلى إحساس خيبة الأمل فإنك ستقوم

تعريف بالكاتب .. قراءته إختياري مش إجباري:

من باب الفشخرة

— ولد بالقاهرة في عام ٧٤ في حي منشية البكري
— نشأ وترعرع في أسرة مفككة وعاش طفولة حقيرة ومراهقة ضائعة ولا يفهم حتى الآن كيف خرج منهما على خير
— جاب اتنين وثمانين في المية في الثانوية العامة .. علمي هه.
— تخرج من كلية الإعلام جامعة القاهرة قسم الصحافة وكان الأول على الدرجة .. واخذ لي بالك .. لكنه لم يلتحق بالسلك الجامعي والحمد لله
— عمل لفترة عام في مجلة روز اليوسف ثم حصل على فرصة ذهبية أعطاها له مشكوراً مأجوراً الكاتب الشاب اللامع الموهوب ابراهيم عيسى عندما عينه سكرتيراً لتحرير جريدة الدستور وهو لم يتجاوز العشرين من عمره وعمل فيها حتى تعطل صدورها في عام ٩٨، وبعد فترة من البطالة قام بالكتابة في عدة مجلات وصحف منها المصور والكواكب وصباح الخير والهلال ووجهات نظر والإتحاد الإماراتية والشرق الأوسط والوسط ولها والأسبوع والعربي وأشياء من هذا القبيل وخلافه، في عام ٩٩ عمل مديراً لتحرير جريدة الجيل القاهرية التي كانت تجربة صحفية واعدة لكن أهوه اللي حصل، المهم أنه تسرّكها بعد فترة أربعة أشهر بسبب خلافات مع الناشر ليعود إلى البطالة ثانية

ثم يعمل فترة في العديد من القنوات الفضائية وعلى رأسها قناتي (art- mbc) ثم عمل في عام ٢٠٠٠ محرراً عاما لجريدة القاهرة لمدة أربع شهور بس استقال بعدها بعد خلافات مع الكاتب التقدمي صلاح عيسى، وبعد فترة من البطالة ترك العمل في الصحافة غير آسف عليها وعمل لمدة عام ككاتب لمدير مكتب تلفزيون الشرق الأوسط بالقاهرة ثم استقال بعدها في أكتوبر ٢٠٠٢ ليعود إلى البطالة بمحض إرادته ويتفرغ لكتابة السيناريوهات السينمائية عائدا الى حلمه القديم بالكتابة في السينما، ومقرراً أن يعيش إلى الأبد كاتباً على باب الله يأكل من عرق المواطن الذي يدخل له فيلماً أو يشتري له كتاباً.

— له حتى الآن خمسة أفلام سينمائية هي: حرامية في كي جي تو — خالتي فرنسا — الباشا تلميذ — صابع بحر — أبو علي.
— تمكن مؤخراً من شراء جميع الكامليات بما فيها الكيتشن ماشين وكاميرة الفيديو لكنه لا يمتلك شقة حتى الآن.
— لهواة الأبراج الكاتب من برج العذراء أو التي تقول عن نفسها أنها عذراء لأنه لم يعد شيء مضمونا في هذا الزمن.

عزيزتى جوليا روبرتس

أنا حزين يا جوليا.. لأننى ضائع مثلك.. أو هكذا
 أتخيلك.. وأنت تبحثين عن الحب فى أحضان كيفر
 ساذريلاند وجاسون باتريك وليل لأفيت وبنجامين برات
 - أرايت.. كيف أحفظ أسماء عشاقك الذين ولا تغضبى
 منى لن يكون بنجامين آخرهم لأنك لست مقسومة أبداً
 لرجل واحد.. العدل أن تتقلبى بين أحضان رجال الأرض
 جميعاً لينال كل منهم حظه من السعادة الحقيقية.. أما
 أنا فالعدل أن أتقلب بين أحضان المقاهى المسكونة
 بالكراهية والشوارع المزروعة حفرًا ومطبات وذكريات
 مشى مع المحبوب والأصدقاء المهزومين المديونين
 الممسوخى الأرواح والصحف المصادرة
 والمراقبة والمرخية والبنات اللعوبات فى التلفون
 فقط الخائفات على الشرف والراغبات فى الستر
 والبلاد التى لا أفهم حتى الآن كيف نحبها كل هذا الحب
 أو ربما نتصور أننا نحبها كل هذا الحب.

